سلسلة
غزوات الرسول الأعظم
صلى الله عليه وسلم

الدكتور شوقي أبو خليل

حروب الردة

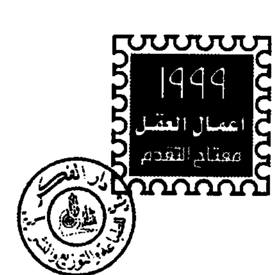
بإمرة

من قيادة النبي صلى الله عليه وسلم
إلى إمرة أبي بكر

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان
دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٣٠٠٤
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠٦٦٧,٠٣١
الرقم الدولي للسلسة: ISBN: 1-57547-102-7
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-112-4
الرقم الموضوعي: ٢٧٠
الموضوع: السيرة النبوية
السلسلة: غزوات الرسول الأعظم
العنوان: حروب الردة
التأليف: الدكتور شوقي أبو خليل
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٢٠٨ ص
قياس الصفحة: ١٤× ٢٠ سم
عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص. ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com



إعادة
١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م
ط١: ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم



حروب الردة من قيـــادة النبي ﷺ إلى إمرة أبي بكر / أبــو خليــل . -
دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٦ . - ٢٠٧ ص : ؛ ٢٠ سم.
١ ـــ ٩٥٦,٠٣ خ ل ي ح ٢ - ٢١٠,٩٠٢٢ خ ل
٣ ـــ العنوان ٤ ـ أبو خليل

مكتبة الأسد

ع ـــ ٧٠٩ / ٦ / ١٩٩٦

تصدير

☆ الارتدادُ « ثورةٌ مضادّةٌ » تتعلّقُ بمصيرِ دولةٍ ناشئةٍ وليدة ، أسّسها محمّدُ بنُ عبد الله ﷺ على التقوى ، وَهَيّأها لتحمِلَ رسالةَ اللهِ عز وجل إلى العالمين .

بسم الله ، والصلاة والسّلام على رسول الله ، محمَّد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه وبعد .

نختتم وننهي بهذا الجزء من سلسلة : « غزوات الرسول الأعظم » ، ماقدّمناه من أجزاء تسعة سابقة .

لقد كانت بدر الكبرى أُولى هذه الغزوات ، بعد أن كانت الحرب في مكَّة المكرّمة غير مهيَّأة الأسباب ، ولو وقعت لانتهت بالفشل المحتَّم وبخيبة الآمال . لقد أُذِنَ للمسلمين في المدينة المنوَّرة بالقتال بعد سبعين آية نهت عنه في بداية الرّسالة ، وحضّت كلُّها على الصبر والأَناة . وحقَّق ﷺ ، ومن معه من المسلمين الصادقين وجوداً ثابت الأُسس ، واضح البنيان في بدر .

ولما أرادت قريش ثأراً في أُحد ، كان هذا للمسلمين درساً هائلاً جزاء مخالفتهم ، ولكن رسول الله ﷺ أعاد الأُمور إلى نصابها بعد أيام عندما سار إلى حمراء الأسد .

وفي الخندق كانت بشائر النجاح الدائم المستمر ، عندما حشدت قريش وحلفاؤها كلَّ الطاقات وأعظمها ، ولكنها عادت بخيبة الأمل ، فسار ﷺ إلى مكَّة يريد عمرة ، وغالت قريش في عداوتها ، فصدَّت المسلمين عن البيت الحرام ، مع أن العرب جميعاً ينسون حروبهم وعداوتهم في الأشهر الحرم ، ويدخل مكة من شاء منهم معتمراً زائراً آمناً ، لكن العداوة أعمتهم حتى عن أعرافهم ونهجهم وتعاملهم فيما بينهم ، ومع ذلك اكتفى ﷺ باعتراف رسمي مكتوب من قريش ، وعاد ﷺ إلى المدينة لينهي العدو الحاقد المتربِّص في شمال الحجاز بزعامة خيبر .

وبعد الخطوة العالميَّة ، بتوجيه الرسائل إلى الملوك والأُمراء ، كانت غزوة مُؤْتة « غزوة جيش الأُمراء » .

ولما نقضت قريش بنود صلح الحديبية ، سار رسول الله ﷺ إلى مكَّة ، حيث حقَّق الفتح الأعظم بخسائر لا تذكر ، حيث فتح القلوب مع الحصون ، فأنهى الشرك والوثنيَّة ، وحلَّ نور التوحيد إلى الأبد .

وبعد حنين والطائف ، أسلمت ثقيف ، وجاءت الوفود مسلمة تعلن ولاءها .

☆ ☆ ☆

ولكن لماذا ختمنا سلسلة « غزوات الرسول الأعظم » بأحداث « حروب الرِّدَّة » ؟

١ً - لأن هذه الحركة بدأت أيام رسول الله ﷺ ، فالأسود العنسي قام في اليمن أيام رسول الله ﷺ ، وَقُضِيَ عليه أيام الرسول الأعظم ، ومسيلمة الكذاب جاء المدينة عام الوفود مع وفد بني حنيفة ، وعاد إلى اليمامة فتنبّأ أيام رسول الله ﷺ .

٢ً - ولقد وطّدت حروب الردة كلَّ ما حققته غزوات رسول الله ﷺ ، فلولا عزيمة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وصدقه وإخلاصه ، لكان ما تحقق في تلك الغزوات في مهب الريح .

الارتداد « ثورة مضادة » استهدفت الإسلام عقيدة ورسالة ونظاماً ، فضلاً عن كونه يُعَبّر عن مستقبل أُمّة ناشئة .

الارتداد « ثورة مضادة » تتعلّق بمصير دولة ناشئة وليدة أَسَّسها محمد بن عبد الله ﷺ على التقوى ، وهيَّأها لتحمل رسالة الله عز وجل إلى العالمين .

الارتداد « ثورة مضادة » من مشارف الشام شمالاً حتى حضرموت ومهرة واليمن جنوباً ، ومن البحرين وعُمَان شرقاً حتى شواطئ البحر الأحمر غرباً ، وفي قلب الجزيرة غطفان وعبس وذبيان ، والقبائل الضاربة في نجد ، وعند مشارف الحجاز هوازن وبنو سليم على أبواب المدينة المنوَّرة .

« الارتداد » خروج عن طاعة الدولة الإسلامية في المدينة ، وهي على نوعين :

أ ـ اتباع المتنبئين ، إما عصبيَّة ، كما قال طلحة النمري لمسيلمة : أشهد أنك كذاب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر .

وإما لأن الوفود التي جاءت في العام التاسع للهجرة بعد فتح مكة ، لا نلمس في إسلامها كلها تلك الحماسة الدافقة التي كنا نجدها لدى السابقين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار ، وهذا ليس حكماً مطلقاً ، لقد ظهر من بينهم من زاد في صفوف المسلمين الصادقين الخُلَّص قوة وتضحية ، مدفوعين بإيمان صادق بنبوَّة محمد بن عبد الله ﷺ ، ومستعدين بحق وصدق لبذل نفوسهم في سبيل بقاء الإسلام وإعلاء شأنه بين إخوانهم في قبائلهم .

إن دعوة التوحيد وجدت صدى بعيد المدى في كافة أرجاء الجزيرة

العربيّـة أيـام رسـول الله ﷺ ، فـإسـلام بعض القبـائـل اتبـاع سريـع للإسلام ورضوخ لا اقتنـاع بعـد صـدى تحطيم الأصنـام ، وبعـد إسلام قريش عند فتح مكة ، فجاء زعماء القبـائل طـائعين سيـاسيـاً ، فـأسلم بإسلامهم قومهم . ولكن هؤلاء المسلمين الجُـدُد لم يحظوا بفترة كافيـة من التربية أو الصحبة أو التعلُّم ، مما سَهَّل عليها الارتداد ، الذي فيه تخلُّص من نواهي الإسلام وأوامره ، بعد أن اتضح للكثيرين من أفراد القبـائل أن النهوض بمـا عليهم في الإسلام ، والامتنـاع عمّـا حَرَّم عليهم ، معنـاه الخروج عمّا أَلِفوه ، وفيه تغيير لمجرى حياتهم اليوميَّة الدينيَّة والاجتماعيَّة والفكريَّة ، التي فاخر بها آبـاؤهم وأجـدادهم ، فـدخول الإسلام في هـذه القبائل لا يدل على مجرد القضاء على عادات سيئة ، فلا خمر ولا زنى ولا عصبيَّة ولا فاحشة ولا فرقة ولا أَنانيَّة .. وإنما كان انقلاباً جذريـاً كاملاً لِمُثُلِ الحياة التي كانت من قبل . فانتشار الارتداد بين القبـائل العربيَّـة انتشـاراً واسعـاً بعـد وفـاة رسـول الله ﷺ مبـاشرة ، مـؤشِّر على مـدى سطحيَّـة إسلام هـذه القبـائـل . لمـا سبـق ، حرص ﷺ على التعلُّم والتفقُّه ، وجعل الإيمـان الحق مقرونـاً بـالعلم والعمل ، فمعـاذ بن جبل رضي الله عنـه الـذي أرسلـه ﷺ إلى اليمن مُعَلِّماً مربِّيـاً مرشـداً ، جعـل القبائل هناك لا تكتفي بالتمسُّك بدينها وإسلامها فحسب ، بل جعلهـا تقف في وجه الأسود العنسي وتنهيه في ثلاثة أشهر فقط .

وعمرو بن العاص ، الذي أرسله ﷺ مُعَلِّماً إلى عُمَان كان له الدور

الكبير في تشكيل مقاومة المسلمين هناك ووقوفهم في وجه ذي التاج لقيط بن مالك الأزدي . وهذا ما فعله أيضاً العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه في البحرين ، حيث انضم إليه المسلمون ، ووقفوا جميعاً في وجه المغرور المنذر بن النعمان .

وسيتضح لنا من خلال أحداث حروب الردة ، أن هؤلاء المتنبئين طلاب زعامة ورئاسة ، تشبَّهوا برسول الله ﷺ وانتحلوا صفة مقدَّسة ظناً منهم أن رسول الله ﷺ حقَّق زعامة ورئاسة دنيويَّة بنبوَّته ، فادَّعوها نبوَّة كاذبة ، ليحقِّقوا ـ حسب ظنهم ـ رئاسة وزعامة ومكانة دنيويَّة ، فهم في موقف المحاكاة والتقليد ليس غير ، حتى مع القرآن الكريم ، وقفوا موقف المحاكاة والتقليد ، لكنهم أتوا بعبارات مسجوعة مهلهلة المعاني ، ركيكة المضمون لا روح فيها ، مع سذاجة وضحالة ، حتى سجعها متكلَّف ، والسخف فيها واضح ، مع البعد كل البعد عن النظرة الشاملة للكون والإنسان والحياة ومعاملاتها ، وكان السخف أوضح لما شرَّع مسيلمة ، فحَرَّمَ النساء على من له ولد ذكر ، فخالف الفطرة الطبيعية للبشر .

٢ً ـ وامتناع عن الزكاة ، وسببه النزعة العصبية العميقة عند العرب ، فكيف يدفعون الزكاة لقريش ؟

وهنا تجلَّت بصيرة أبي بكر رضي الله عنه في فهم ركن الزكاة ، فلا

مساومة على ركن من أركان الدين ، لأن الزكاة مادَّة للقضاء على البؤس والفقر والجوع والمرض والعوز ..

صورة الارتداد هذه ، يقابلها صورة مضيئة مقابلة ، صورة الرجال الصادقين ورثة رسول الله ﷺ العظَام ، رسل الإسلام الأوفياء الأُمناء على كل ما أنزل الله على رسوله ، لقد تغلغل في نفوسهم ، واستقر في أرواحهم ، وامتلأت قلوبهم خلال ملازمتهم لرسول الله ﷺ وجداناً جديداً ، وتفكيراً جديداً ، وتصوُّراً للحياة جديداً ، هو في الواقع أسمى وأرقى مما أَلفوه من قبل . وخلال حروب الرِّدَّة سنرى أن هؤلاء الرجال العظام دليل متين رائع ، على أن بذور رسالة الإسلام قد غرست في تربة خصبة ، فأنتجت رجالاً من أعظم الرجال قدراً وعزيمة وتصميماً ، وعلى رأسهم خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

فلا ندري ماذا كان يخبّئ القدر للإسلام وأهله لو لم يكن هناك أبو بكر ، بهذه الروح ، وبهذه العزيمة ؟! فبعد اجتياز مسألة اختيار الخليفة ، أثبت أبو بكر رضي الله عنه على أنَّه أهل لثقل الأمانة التي أُلقيت على كاهله ، وأهل للنهوض بها ، حيث تصرَّف بكل حكمة وشجاعة وحزم ، وسنرى ذلك يقيناً من خلال أحداث « حروب الرِّدَّة » ، وسنرى أيضاً :

ـ يقظة المسلمين عند التعبئة العامة خشية مداهمة المدينة المنوَّرة .

ـ وسياسة الحزم تجاه المرتدين الذين تأمَّلُوا خيراً عندما تولَّى أبو بكر أُمور المسلمين ، وظنُّوا أن الأُمور انتهت ، وزمن زوال دولة الإسلام الناشئة قاب قوسين أو أدنى ، واطمأنُّوا ، لأنَّهم لن يواجهوا حِدَّة عمر ، أو بسالة عليّ ، إنهم سوف يواجهون شيخاً رقيقا تجاوز الستين .

ـ وإحكام التعاون بين الجيوش التي سيَّرها الصّدّيق ـ وعددها أحد عشر جيشاً ـ فعلى الرغم من تباعد المكان ، واتساع الشقة ، عملت كجهاز واحد ، قد تلتقي ، أو يلتقي بعضها ببعض لتفترق ، ثم تفترق لتلتقي ، وهي كلها بإمرة أبي بكر ، الذي اتخذ المدينة المنوَّرة « غرفة عمليات » يدير منها حركة الجيوش ضد المرتدين ، فتمكَّن بقلة من حيث العدد إذا قورنت بجموع المرتدين أن يحقِّق أروع الانتصارات ، فتجلَّت جدارة الصديق وشخصيته العسكرية ، ومقدرته « الاستراتيجية » التي لم تظهر أيام رسول الله ﷺ ، لطاعة الصديق والتزامه التام برسول الله ﷺ ، هذه الشخصيَّة تجلَّت عظيمة كبيرة عندما أخمدت العاصفة « الثورة المضادة » التي أحاطت رياحها العاتية بالإسلام وأهله .

عظمة الصّدّيق ، التي هي ثمرة من ثمرات غرس رسول الله ﷺ ، لم تتجلَّ أيام رسول الله ﷺ لأنها كانت في طور التلقّي والأخذ والتعلُّم ، ورشف رحيق الإرادة الصادقة ، والإيمان الكامل السليم .. أما

اليوم « فويل للعرب ـ المرتدين ـ من ابن أبي قُحَافة » . لقد قاد بنفسه رضي الله عنه المعارك الوقائية حول المدينة ، فأَمَّن قاعدة متينـة أمينـة للحرب القادمة على مستوى الجزيرة ، ثم جعل خالد بن الوليد في وجه أقوى قوات المرتـدين : طليحـة ، ثم مـالـك ، ثم أكثرهـا خطراً وقوَّة : مسيلمة ، متَّخذاً من مبدأ تطهير المناطق القريبة فالبعيـدة للقضـاء على قوات المرتـدين على انفراد سبيـلاً لـه ، مـع دقـة وسرعـة في المراسـلات والاتصـالات بين القيـادة في المـدينـة المنـوَّرة والجيـوش التي على كافـة الجبهات .

ـ وسنلمس في نهايـة أحـداث « الردة » خضوع العرب لأَوَّل مرَّة ، وبشكل فعلي ، لحكومة مركزيَّة واحدة ، معترفين بسيـادتهـا ضمن دائرة كبيرة هي سلطة الـدولـة العليـا ، مع ولاء وافتخـار في القبيلـة ، وهي دائرة قريبة صغيرة .

ـ وسنناقش في نهاية هذا الكتاب آراء غريبة أوردها أحـد المؤلفين في كتاب حول الردّة وأحداثهـا كما جـاءت في تـاريخ الطبري « تـاريخ الرُّسل والملوك » ، منها :

ـ هل من المعقول أن يقوم هؤلاء المسلمون المعتنقـون لـلإسـلام عن قناعة ورضا وتصديق بحمل راية الارتداد عن الدين ؟

ـ وهـل من المنطقي أن يبـادر لـلارتـداد أولئـك الـذين كانت

مساكنهم بعيدة عن دائرة الحركات العسكرية ، ولم يصلهم جندي واحد من جنود الإسلام ، وإنما كان إسلامهم بمحض رغبتهم واندفاعهم وتصديقهم ، مجرّداً عن كل لون من ألوان التأثير والتوجيه ، إلا تأثير البرهان ، وتوجيه الدليل ؟

- وهل جاءهم طليحة أو مسيلمة أو سجاح ، بمعجزة أسمى ، أو خارق عادة أقوى من ذلك الذي جاءهم به محمد ﷺ ، حتى يتخلُّوا عن الإسلام ويتبرَّؤوا منه ؟

- وهل جاءهم طليحة أو مسيلمة أو سجاح بكلام أبلغ من القرآن ، وأكثر منه بهاء وروعة وطلاءً وجمالاً ، فيحملهم على الارتداد واستبدال شيء مكان شيء ؟ وهل تردّى الذوق العربي - وقد كان في قمة البلاغة إذ خاطبه الله تعالى بمعجزة البيان البليغ - حتى استقر في مثل هذا الحضيض ؟ وهل فقدت هذه الأُمّة فهمها ومعرفتها وقوة تمييزها حتى أصبح لديها هذا الهراء مثال البلاغة المتناهية التي تحمل العربي على رفض دينه السابق إقراراً بإعجاز هذا الكلام الساقط المرذول ؟ وكيف يصح من هذه الأُمّة العريقة المجيدة الواعية أن تترك كل أفكار القرآن ، وكل أفكار محمد ﷺ ، وكل ما تعلمته من أفكار الإسلام ، وتنساق طواعية وراء هذه السخافات والتُرّهات والتعابير الحمقاء ؟

- ولو صَحّت أنباء الردة وأخبارها ، فأين كان منها زعماء

الشعوبية وقادتها ؟ وَلِمَ فاتتهم هذه الفرصة ولم يستغلوها طعناً وتجريحاً في عقلية هذه الأُمة ، وفي ركضها وراء الترهات والأباطيل ؟

- إن خطر الأسود العنسي وأتباعه المنتشرين في هذه المساحة الشاسعة من الأرض ، وفي هذه الرقعة الملتفة كالطوق على الحجاز ، أهم بكثير وإلى أبعد حدود الأهمية من خطر الروم البعيد . فلماذا بُعِثَ أُسامة إلى الروم لا إلى اليمن مثلاً ؟ لماذا لم يوجه ﷺ جيش أُسامة إلى مسيلمة بدل إرساله إلى مشارف الشام ؟

- وهل يشكّل منع الزكاة ارتداداً وكفراً في المفهوم الإسلامي ؟ إن المسألة في واقعها امتناع عن دفع الزكاة وليس إنكاراً للوجوب ، فقد أنكر الخليفة عمر بن الخطاب حرب هؤلاء المتنعين ، ولم يجد في هذه الحرب ما يسوغها قرآنياً ، وما يصححها سُنّة وسيرة ، ولكنه عاد فتراجع عن موقف الإنكار وأقرّ مشروعية هذه الحروب .

إننا لا نرى وجهاً لما عبّرت عنه السلطة يومذاك من اعتبار كل فرد من هؤلاء مرتداً وراجعاً عن الإسلام . إن سبب تلك الحروب والأحداث « رفض البيعة » ، « نفرة من تسلُّط قريش » ، « نقمة » ، « تمرُّد على حكم » ، « انتقاض بحاكم » ، وإن غرض الدولة الرئيس من كل تلك الحروب والأحداث : هو النزول على حكم الخليفة ، وليس في ذلك كله أي معنى من معاني الكفر أو الارتداد .

ـ ولماذا دفع أبو بكر الصديق ديَّة مالك ؟ وما إلى ذلك من أفكار .

☆ ☆ ☆

فإلى أحداث « الردة » ، محافظين على حرفيَّة بعض النصوص ، مع دقة إسنادها ، موضحين رأينا فيها بشكل جلي ، داعمينه بالأدلة الموثَّقة ، فعلى بركة الله نبدأ ، وعلى رضاه ننتهي إن شاء الله .

دمشق في : ٤ / ١٢ / ١٤٠٣ هـ
الموافق : ١٠ / ٩ / ١٩٨٣ م

شوقي أبو خليل

دمشق ـ سورية
ص . ب ٦٢٢٢
Shawki@ Fikr.com



أبو بكر الصّدّيق

خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

والقائد الأعلى لجيوش المسلمين في حروب الردّة

☆ ﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

[التوبة : ٤٠]

أبو بكر الصّدّيق : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي[١] ، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة[٢] . وأمه : أُم الخير سلمى بنت صخر بن

(١) يلتقي نسبه ونسب رسول الله ﷺ عند مرّة بن كعب بعد ستة آباء .

(٢) اسم أبي قحافة : عثمان ، عاش حتى رأى أبا بكر خليفة ، ومات أبو بكر قبله ، فقال الأب : رزء جلل ، فمَن ولي الأمر بعده ؟ قالوا : عمر ، قال : صاحبه ، أي صاحب الأمر ، وأهل له . أسلم عثمان عام الفتح .

عـامر بن كعب بن سعـد بن تيم بن مرّة ، وهي ابنـة عم أبي قحـافـة . وقيل اسمها ليلى بنت صخر بن عامر .

ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر[1] .

إنّه « العتيق » ، لحسن وجهه وجمـالـه ، ولأنـه لم يكن في نسبـه شيء يعاب به[2] ، ولأن رسول الله ﷺ قال له : « أنت عتيق الله من النار »[3] .

وإنّه « الصّدّيق » ، فلما أُسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يُحَـدِّث النـاس بـذلـك ، فـارتـد نـاس ممن كان آمن وصـدق بـه وفُتِنُوا ، فقال أبو بكر : إني لأُصدقـه فيما هو أبعـد من ذلـك ، أُصـدِّقـه بخبر السّماء غَدْوة أو رَوْحَة . فلذلك سُمّي أبو بكر الصّدّيق[4] .

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة : جـ ٢ ص ٣٤١ ، أُسد الغـابـة : جـ ٣ ص ٣٠٩ ، الطبقـات الكبرى لابن سعد : جـ ٣ ص ١٦٩ ، ابن هشام : جـ ١ ص ٢٣١ .

(٢) يقول السيوطي في « تاريخ الخلفاء ، ص ١٠٧ » : رأيت بخط الحافظ الذهبي : من كان فرد زمانـه في فنّه : أبو بكر الصديق في النسب ، عمر بن الخطـاب في القوة في أمر الله ، عثمان من عفـان في الحيـاء ، علي في القضـاء ، أُبي بن كعب في القراءة ، زيـد بن ثـابت في الفرائض ، أبـو عبيـدة بن الجراح في الأمانة ، ابن عباس في التفسير ، أبو ذر في صدق اللهجة ، خالد بن الوليد في الشجاعة ...

(٣) الإصابة : جـ ٢ ص ٣٤٢ ، الاستيعاب : جـ ٢ ص ٢٤٣ ، ابن سعـد : جـ ٣ ص ١٧٠ ، أُسـد الغابة : جـ ٣ ص ٣١٠ .

(٤) الصّدّيق : المُصَدّق ، وفي التنزيل : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ أي مبـالغـة في الصّدْق والتّصْـديقِ على النسب أي ذات تَصْدِيق ، قال الليث : كل من صَـدّق النبي ﷺ فهو صِـدّيقٌ ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ والصّـدّيقون والشُّهَـداء عِنْـدَ ربهم ﴾ ، والصّـدّيق : المبـالغ في الصّدْق ، لسـان العرب : جـ ١٠ ص ١٩٣ .

كان رضي الله عنه من رؤساء قريش في الجاهلية ، مُحَبَّباً فيهم ، كان تاجراً ذا خُلُق ومعروف ، وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته ، فلما جاء الإسلام سبق إليه . فكان أول من أسلم من الرجال[1] ، وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له ، حتى إنَّه أسلم على يده خمسة من العشرة المبشَّرين بالجنة ، وهم : عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف .

قال ﷺ: « مادعوت أحداً إلى الإسلام إلاّ كانت له عنه كبوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ماعَتَّم حين ذكرته له ، ماتردد فيه » .

هاجر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ وصحبه في الغار ، وآنسه فيه ، ووقاه بنفسه ، قال لرسول الله ﷺ : لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا ، فقال ﷺ : « ياأبا بكر ، ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ »[2] .

وشهد رضي الله عنه بدراً وأُحداً والخندق والحديبية والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، ودفع ﷺ رايته العظمى يوم تبوك إليه ، وكان

---

(1) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٣٣ ، طبقات ابن سعد : جـ ٣ ص ١٧١ ، الإصابة : جـ ٢ ص ٣٤٤ ، الاستيعاب : جـ ٢ ص ٢٤٣ .

(2) ابن سعد : جـ ٣ ص ١٧٤ ، أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣١٥ ، صحيح مسلم : ص ١٨٥٤الحديث ٢٣٨١ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : جـ ٧ ص ١١ ، منتخب كنز العمال ، هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل : جـ ٤ ص ٣٤٤ .

فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد وحُنَين حين ولى الناس[1] .

قال عنه رسول الله ﷺ قبل أن يُتَوفى بيوم :« قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء ، وإني أبرأ إلى الله أن أكون اتخذت منكم خليلاً ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، وإن ربي اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً »[2] .

وقال ﷺ : « أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة »[3] .

وقال ﷺ أيضاً : « إن لي وزيرين من أهل السماء ، ووزيرين من أهل الأرض ، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل صلى الله عليهما وسلم ، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر »[4] .

ومع علمه وزهده وغزارة دمعه رضي الله عنه ، كان إذا مُدِح

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣١٨ ، الإصابة : جـ ٢ ص ٣٤١ .

(٢) صحيح مسلم : ص ١٨٥٥ ، الحديث : ٢٣٨٣ ، فتح الباري : جـ ٧ ص ١١ ، منتخب كنز العمال : جـ ٤ ص ٣٤٢ و ٣٤٣ ، ابن سعد : جـ ٣ ص ١٧٦ ، أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣١٩ ، الاستيعاب : جـ ٢ ص ٢٤٧ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣١٩ ، المسند : جـ ١ ص ١٩٣ .

(٤) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٢٠ .

يقـول : « اللَّهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنـا أعلم بنفسي منهم ، اللّهم اجعلني خيراً مما يظنـون ، واغفر لي مـا لا يعلمـون ، ولا تـؤاخـذني بمـا يقولون »[1] .

وقال ﷺ : « ما نفعني مال قـط مـا نفعني مـال أبي بكر » ، فبكى أبو بكر وقال : وهل أَنا ومالي إلا لك يا رسول الله[2] ! .

لقد أسلم رضي الله عنه وله أربعون ألفا ، فـأنفقهـا في الله ، وأعتق سبعـة كلهم يُعَـذَّب في الله ، اعتق بـلالاً ، وعـامر بن فُهَيْرة ، وزِنِّيرة ، والنَّهْدِيَّة وابنتها ،وجارية بني مُؤَمَّل ، وأم عُبَيس[3] .

وفي حياة رسول الله ﷺ ، كان رضي الله عنه أمير الحج سنـة تسع للهجرة[4] .

الصِّدِّيقُ خَلِيفَةً :

لقد فاق أبو بكر الصحابة إيماناً ، لأنَّه فاقهم حُبّاً ومودَّة وإخلاصاً وصحبة لرسول الله ﷺ .

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٢٥ .

(٢) الإصـابـة : جـ ٢ ص ٣٤٣ ، أُسـد الغـابـة : جـ ٣ ص ٣٢٦ ، وفي منتخب كنز العمال : جـ ٤ ص ٣٤٣ : [مـا أحـد أعظم عنـدي يـداً من أبي بكر ، واسـاني بنفسـه ومـالـه وأنكحني ابنته] .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة : جـ ٢ ص ٣٤٣ .

(٤) الطبري : جـ ٣ ص ١٢٢ ، طبقات ابن سعد : جـ ٣ ص ١٧٧ .

قال رسول الله ﷺ عند مرضه : « لِيُصَلِّ أبو بكر بالناس » ، قالوا : لو أمرت غيره ؟ - لرقته وضعف صوته - قال ﷺ : « لا ينبغي لأُمتي أن يَؤُمهم إمام وفيهم أبو بكر »[1] .

وجاءت امرأة لرسول الله ﷺ في شيء فأمرها بأمر ، فقالت : أرأيت يا رسول الله إن لم أجدك ؟ - تعني الموت - قال ﷺ : « إن لم تجديني فأتي أبا بكر »[2] .

وإن رسول الله ﷺ لما اشتد مرضه أُغمي عليه ، فلما أفاق قال : « مروا بلالاً فليؤذن ، ومروا أبا بكر فليصلِّ بالناس »[3] ؛ فصلى بهم أبو بكر ثلاثة أيام .

ولما كان يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هجرية[4] ، اليوم الذي قُبِض فيه رسول الله ﷺ ، خرج إلى الناس وهم يُصَلُّون الصبح ، فرفع السِّتر ، وفتح الباب ، وخرج رسول الله حتى قام بباب عائشة ، فكاد المسلمون أن يفتتنُوا في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأَوه ، فرحاً

---

(١) منتخب كنز العمال : جـ ٤ ص ٣٤٣ ، أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٣٠ .

(٢) ابن سعد : جـ ٣ ص ١٧٨ ، أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٣٠ ، الاستيعاب : جـ ٢ ص ٢٤٩ ، صحيح مسلم : جـ ٤ ص ١٨٥٦ ، الحديث : ٢٣٨٦ .

(٣) ابن سعد : جـ ٣ ص ١٧٨ ، أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٣١ .

(٤) قُبض ﷺ في اليوم الذي قدم فيه المدينة مهاجراً ، فاستكمل في هجرته عشر سنين كوامل ، الطبري : جـ ٣ ص ٢١٥ .

به ، فأشار ﷺ بيده أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسَّم رسولُ الله فرحاً لما رأى من هيئتهم في صلاتهم ، وما رُئِيَ ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة ، ثم رجع وانصرف الناس ، وهم يظنون أنَّ رسول الله ﷺ قد أفاق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[1] .

وتوفي رسول الله ﷺ وأبو بكر بالسُّنْح ، وعمر حاضر . ولما توفي ﷺ قام عمر فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله تُوُفِّيَ ، وإن رسول الله والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربِّه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجعن رسولُ الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات[2] .

وأقبل أبو بكر حين بلغه الخبر ، حتى نزل على باب المسجد وعمر يكلِّم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، ورسول الله مُسَجًّى[3] في ناحية البيت عليه بُرْد حِبَرة[4] ،

---

(١) سُنْحُ : إحدى محالّ المدينة ، كان بها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢٦٤ .

(٢) الطبري : جـ ٣ ص ٢١٠ ، حلية الأولياء : جـ ١ ص ٢٩ ، الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٦٠ ، فتح الباري : جـ ٧ ص ٢٣ .

(٣) سَجَّى الميتَ : غطّاه ، وسَجَّيْت الميت تسجيةً إذا مددت عليه ثوباً ، لسان العرب : جـ ١٤ ص ٣٧١ .

(٤) بُرْد حِبَرة : ضرب من ثياب اليمن مُنَمَّر ، لسان العرب : جـ ٤ ص ١٥٩ .

فـأقبل حتى كشف عن وجهـه ، وقبّل بين عينيـه ، ثم قـال : بـأبي أنت وأمي ، طبتَ حَيّاً ، وطبتَ مَيّتاً ، ثم خرج رضي الله عنـه ، فحمـد الله وأثنى عليـه ، ثم قـال : مَنْ كان يعبـد الله فـإن الله حيٌّ لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَـدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِـهِ الرُّسُـلُ أَفَـإِنْ مـاتَ أَوْ قُتِـلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَـابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1] .

فحلف رجـالٌ لم يعلموا أن هـذه الآيـة نزلت حتى تلاهـا أبـو بكر يومئـذ ، فبكى النـاس على فراق رسول الله ﷺ ، وأخـذ النـاس الآيـة الكريمة عنَ أبي بكر فـإنمـا هي في أفواههم ، وقـال عمر رضي الله عنـه : والله مـا هـو إلا أن سمعت أبـا بكر تـلاهــا ، فعقرت[2] حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي ، وعرفت رسول الله ﷺ قد مات[3] .

(١) آل عمران : ١٤٤ ، وفي سورة الزُّمر : ٣١ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ، وفي سورة الأنبيـاء : ٣٤ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ ﴾ ، وفي سورة الأنبياء أيضاً : ٧ و ٨ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَـاسْـأَلُوا أَهْلَ ٱلـذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ، وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ .

(٢) عَقِرَ الرجـلُ عَقَراً : فَجِئَـه الرَّوْعُ فَـدهِشَ فلم يقـدر أن يتقـدم أو يتـأخر ، لســان العرب : جـ ٤ ص ٥٩٨ .

(٣) في الطبري : جـ ٣ ص ٢١١ : قـال ابن عبـاس : والله إني لأمشي مـع عمر في خـلافتـه ، وهـو عامد إلى حاجة له وفي يده الدِّرّة ، وما معه غيري ، قـال وهو يحـدث نفسـه ويضرب وَحْشِيَّ قدمه بدِرّته : يـابن عبـاس ، هل تـدري مـا حملني على مقـالتي هـذه التي قلت حين توفّى اللهُ رسولَهُ ؟ قال : قلت : لاأدرى ياأمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال : والله إنْ حملني على ذلك إلا =

وقال رجال : والله لوددنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفتتن بعده ، فقال معن بن عدي : والله ما أحبُّ أني متُّ قبله حتى أُصدّقه ميتاً كما صدّقته حيّاً[1] .

قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد : أشهدت وفاة رسول الله ﷺ ؟

قال : نعم ، قال : فمتى بويع لأبي بكر ؟

قال سعيد : يوم مات رسول الله ﷺ ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة .

قال : فخالف عليه أحد ؟ .

قال سعيد :لا ، إلاّ مرتدّ أو مَنْ قد كاد أن يرتد ، لولا أن الله عزَّ وجل ينقذهم من الأنصار .

قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟

قال سعيد : لا ، تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوَهم .

وقال حبيب بن أبي ثابت : كان عليّ في بيته إذ أُتِيَ فقيل له : قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء ، عَجِلاً

= أني كنتُ أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فوالله إني كنت لأظن أن رسول الله سيبقى في أمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنّه للذي حملني على أن قلتُ ما قلتُ .

(١) استشهد رضي الله عنه يوم اليمامة .

كراهية أن يُبطئ عنها ، حتى بايَعَهُ ، ثم جلس إليه ، وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلّله ولزم مجلسه[1] .

بايع الناس أبا بكر بيعة خاصة في سقيفة بني ساعدة[2] ، وفي اليوم التالي بايع الناس في المسجد البيعة العامّة ، فقام أبو بكر بعد موقفه العظيم الذي وقفه عند وفاة رسول الله ﷺ، هذا الموقف الذي جمع فيه كمال وعميق الحب لرسول الله ﷺ ، مع قمة العقل والاتزان ، جمع منتهى النور والحب مع الروح الراقية الرفيعة المستوى ، مع تمام اليقظة الفكرية ، وعميق التفكير السليم ، وذروة العقل الراجح المليء بالتدبير والحكمة .. قام رضي الله عنه بعد هذا الموقف ليحدد سياسته في الحكم ، وليوضح نهجه المتّبع فيما سيأتي من أيام خلال خلافته .

☆ ☆ ☆

---

(١) الطبري : جـ ٣ ص ٢٠٧ ، وفي رواية بايع رضي الله عنه بعد ستة أشهر ، وأراد أبو سفيان أن يثير الأمر ، وقال : أبا الحسن ! ابْسُط يدك حتى أُبايعك ، فأبى عليٌّ عليه وزجره ، وقال : إنّك والله ماأردتَ بهذا إلاّ الفتنة ، وإنك طالما بغيتَ الإسلامَ شراً ، لاحاجة لنا في نصيحتك ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٠٩ .

(٢) في سقيفة بني ساعدة قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فأتاهم عمر فقال : يامعشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالوا : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ، أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٣٢ ، الاستيعاب : جـ ٢ ص ٢٥١ ، طبقات ابن سعد : جـ ٣ ص ١٧٩ .

بَيَانُهُ « الوَزَاري » :

« مُجْتَمَعُ الطمأنينةِ وَالمُسَاوَاةِ ، ٱلنَّاسُ سَوَاء » :

قام رضي الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهل .. وهذا شكر لله على نعمه وفضله .

ثم قال : [أما بعد ، أيها الناس ، فإني قد ولِّيت عليكم ولست بخيركم][1] : وهذا تواضع منه رضي الله عنه مع رفيع منزلته ، وسمو مكانته بين المهاجرين والأنصار ، [فإن أحسنت فأعينوني] : أمل في الإخلاص والخير لكل المجتمع ، [وإن أسأت فقوّموني] : قبول للنصح والتوجيه والنقد لما فيه صلاح أُمور الأُمة ، [الصدق أمانة ، والكذب خيانة] : صفتان من أُسس التعامل السليم في كل أمور الحياة ، [الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه[2] حقّه إن شاء الله ، والقوي منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله] : العدالة والأمن والأمان للضعيف ، والقوي مقيَّدة قوته بشرع الله وعدل الحاكم ، فلا تجبُّر ولا عتو ولا فساد ، [لا يدعُ أحدٌ منكم الجهاد في سبيل الله ، فإنه لا يدعه قوم إلاّ ضربهم الله بالذل] : الجهاد لرفع كلمة الله عز وجل ، ومن تركه فقد ذل بسطوة الكفر والوثنية والشرك ، [ولا

---

(١) مابين قوسين نص خطبته رضي الله عنه ، الطبري : جـ ٣ ص ٢١٠ .

(٢) أَرَحْتُ على الرجل حَقّه إذا رددته عليه ، أَرِحْ حَقّه أي رُدّه ، لسان العرب : جـ ٢ ص ٤٦٥ .

تشيع الفاحشة في قوم إلاّ عَمَّهم الله بالبلاء] : فلا فاحشة كيلا ينزل البلاء ، ومن مفهوم التضاد ، أراد أبو بكر المجتمع الفاضل في القول والعمل كي ينزل الله النعم والبركة ، الفُحْشُ والفاحشة : القبيح من القول والفعل ، وهو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ، وكثيراً ما تَرِدُ الفاحشة بمعنى الزِّنى ، ويُسَمَّى الزِّنى فاحشة ، والفحشاء تأتي بمعنى عدم التصدُّق ، وقيل الفحشاء هي البخل ، فإذا كان المجتمع لا فاحشة فيه ، أي لا قبيح قول وفعل ، ولا ذنوب ولا معاصي ، ولا زنى ولا بخل .. فهذا مجتمع الملائكة ، لا إيذاء لسان ولا أذى يد ، ولا خوف على عِرْض أو شَرَف ، ولا غني بخيل ، ولا ثري يكنز لنفسه وينسى المجتمع من حوله ، هذا مجتمع الطمأنينة والأمن والراحة النفسية ، [أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله] : سلطة محدَّدة مقيَّدة بشرع الله ونهجه ، وفي حال خرقها وتجاوزها فلا طاعة إلا فيما أمر الله عز وجل .

هذه هي سياسة الصِّدّيق رضي الله عنه التي اختطها لنفسه خلال خلافته ، التي دامت سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، حيث توفي رضي الله عنه في المدينة وهو ابن ثلاث وستين ، يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة .

ولتنفيذ هذه السياسة ، جعل « وزير ماليته » أمين هذه الأُمَّة :

أبا عبيدة بن الجراح الذي تولى شؤون بيت المال . وتولى عمر بن الخطاب القضَاء « وزارة العدل » ، وتولى زيد بن ثابت الكتابة « وزارة البريد والمواصلات » .

إنه رضي الله عنه ـ بعد رسول الله ﷺ ـ المسلم الأَوَّل ، الخليفة الأَوَّل : (لا مكافأة على إسلامه ، بل لأهليته لحمل الأمانة ، وحماية الصرح ، ورعاية الأُمَّة) .

أَوّلُ أَعْمَالِهِ :

طاعة رسول الله ﷺ في إنفاذ جيش أُسامة :

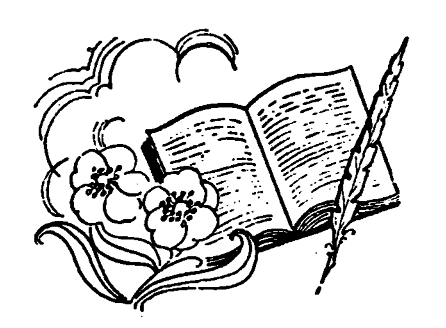
لقد سيَّر رضي الله عنه جيش أُسامة بن زيد ، وهذه طاعة مطلقة لرسول الله ﷺ بعد وفاته ، وهي أساس سياسة الصِّدِّيق : « والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السِّباع تخطّفني لأنفذت بعثَ أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبقَ في القرى غيري أنفذته »[1] .

لقد انفذ رضي الله عنه جيش أُسامة وأمره أن يصنع ما أمره به رسول الله ﷺ ، وخرج يشيِّع الجيش ماشياً ، واستأذن أسامة أن يبقي له عمر بن الخطاب بأدب ولطف .

---

(١) الطبري : جـ ٣ ص ٢٢٥ .

إن انفاذ هذا الجيش إلى مشارف الشام ، حقّق ماأُريد من انفاذه تماماً ، حتى قالت القبائل : لو لم يكن المسلمون على قوة لما خرج من عندهم هؤلاء . ففاز أبو بكر والمسلمون بوسام الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ ، وبوسام القوة والحكمة والعقل الراجح والتدبير المحكم ووضوح الرؤيا ، فهابت القبائل المسلمين ، وهابهم الروم أيضاً فلم يتجرّأوا على مهاجمتهم ، لأن الروم ليسوا بمعزل عما يحدث في جزيرة العرب .



المرتدّون

☆ قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] : المراد بذلك أبو بكر وأصحابه في قتالهم المرتدين ومانعي الزكاة .

لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب[1] ، ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا المسجدين مكة والمدينة[2] ، منهم من انحاز إلى المتنبئين ، ومنهم من أَقَرَّ بالصلاة ومنع الزكاة .

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١١ .

(٢) الطبري : جـ ٣ ص ٢٤١ ، وفي الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣١ : ارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة ، إلاّ قريشاً وثقيفاً لم يكن بها ارتداد حتى ولو جزئياً .

لقد انحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة ، وخلق كثير من أهل اليمامة .

والتفّ حول طليحة الأسدي بنو أسد وطيّء وغطفان .

وتنبّأت سجاح وتبعها بنو تميم .

وتنبأ مالك بن نويرة .

وارتدت سُلَيم مع الفجاءة إياس[1] بن عبد الله بن عبد ياليل .

وارتدت كِنْدَة وعليها الأشعث بن قيس الكندي .

وارتدت ربيعة مع المغرور[2] المنذر بن النعمان بن المنذر .

وما زالت اليمن تعاني من أتباع الأسود العنسي ، فَعَظُمَ الخطب ، واشتدت الحال .

وبعث المرتدون وفوداً إلى المدينة المنوَّرة ، فنزلوا على وجوه الناس ، وجيء بهم إلى أبي بكر ، على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة ، فعزم الله عز وجل لأبي بكر على الحق ، وقال : لو منعوني عقالاً[3] لجاهدتهم .

النَّظْرَةُ المتفحِّصَةُ للمُرْتَدِّينَ في المدينَةِ :

رجعت وفود الأعراب إلى عشائرهم ، فأخبروهم بقلة أهل

---

(١) وهو في بعض المراجع : أنس بن عبد ياليل .

(٢) وهو في البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٢ : المعرور .

(٣) العِقَالُ : الرِّباطُ الذي يُعْقَلُ به ، وجمعه عُقُلٌ ، لسان العرب : جـ ١١ ص ٤٥٩ .

المدينة ، وطمعوهم فيها ، لأن جيش أُسامة سار إلى مشارف الشام ، ووعى أبو بكر رضي الله عنه خطورة الموقف ، فجعل على أنقاب المدينة حُرَّاساً يبيتون بالجيوش حولها ، وكان من أُمراء الحرس : علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، وجعلت وفود الغرب تقدم المدينة ، يُقرُّون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة ، ومنهم من امتنع عن دفعها إلى الصِّدِّيق محتجّاً بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[1] ، وقالوا : فلسنا ندفع زكاتنا إلاّ إلى مَنْ صلاته سكن لنا ، وأنشد بعضهم[2] :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ مَا كانَ بَيْنَنَا ... فَيَا لِعِبَادِ اللهِ مَا لأَبِي بَكْرِ
أَيُوَرِّثُهَا بَكْراً إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ ... وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ[3]

مَوْقِفُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ :

ورأى بعض الصحابة أن يترك هؤلاء وما هم عليه من منع الزكاة ، ويتألَّفهم أبو بكر الصِّدِّيق حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم ، ثم هم بعد

---

(١) التوبة : ١٠٤ .

(٢) وهو : الخطيل بن أوس ، (ابن خلدون : جـ ٢ ص ٦٧) .

(٣) الطبري : جـ ٣ ص ٢٤٦ ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ٢/ب ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١١ .

ذلك يزكُّون . ورفض الصِّدِّيق هـذا الرأي ، فقـال عمر بن الخطـاب : عَلامَ تقـاتل النـاس ؟ وقـد قـال رسول الله ﷺ : « أُمرتُ أن أُقـاتـل الناسَ حتى يشهدوا أن لاإله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها »[1] .

فقال أبو بكر : والله لو منعوني عَنَاقاً[2] كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لأُقاتلنَّهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأُقـاتلن مَنْ فرّق بين الصلاة والزكاة . قال عمر : فما هو إلاّ أن رأيت الله قـد شرح صـدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنّه الحق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَـإِنْ تَـابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾[3] .

وقـام أبو بكر في النـاس فحمـد الله وأثنى عليـه ثم قـال : الحمـد لله هدى فكفى ، وأعطى فـأغنى ، إن الله بعث محمـداً ﷺ والعلم شريـد ، والإسلام غريب طريـد ، قـد رث حَبْلُـه ، وخَلَقَ عهـده ، وضل أهلـه عنـه ، ومقت الله أهـل الكتـاب فـلا يعطيهم خيراً لخير عنـدهم ، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم ، قـد غيَّروا كتـابهم ، وأَلحقوا فيـه مـا ليس منـه ، والعرب الآمنـون يحسبـون أَنهم في منعـة من الله لا يعبـدونـه ولا

(١) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١١ .

(٢) العَنَاقُ : الأنثى من المَعز ، لسان العرب : جـ ١٠ ص ٢٧٤ .

(٣) التوبة : ٥ .

يدعونه فأجهدهم عيشاً ، وأضلّهم دينا ، في ظَلَفٍ من الأرض[1] مع مافيه من السحاب فختمهم الله بمحمد ، وجعلهم الأُمَّة الوسطى ، نصرهم بمن اتَّبعهم ، ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيَّه ﷺ ، فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه ، وأخذ بأيديهم ، وبغى هلكتهم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِين ﴾[2] ، إن من حولكم من العرب مَنَعُوا شاتَهم وبعيرَهم ، ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا ، على ماقد تقدم من بركة نبيكم ﷺ ، وقد وكلكم إلى المولى الكافي ، الذي وجده ضالاً فهداه ، وعائلاً فأغناه ، ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3] .

غَارَاتُ الأَعْرَابِ الأُولى عَلَى المدينَةِ :

جعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة ، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد وقال : إن الأرض كافرة ، وقد رأى وفدهم - وفد المرتدين - منكم قِلَّة ، وإنكم لاتدرون ليلاً يأتون أَمْ نهاراً ، وأدناهم منكم

(١) الظَّلَفُ من الأرض : ماغَلُظ من الأرض واشتدّ ، لسان العرب : جـ ٩ ص ٢٣٠ .
(٢) آل عمران : ١٤٤ .
(٣) آل عمران : ١٠٣ .

على بريد[1] ، وقد كان القوم يُؤَمِّلون أن نقبل منهم ونوادعهم ، وقد أبينا عليهم ، فاستعدُّوا وأعدُّوا . فما لبثوا إلاَّ ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة ، وخلَّفوا نصفهم بذي حُسَىً[2] ليكونوا رِدْءاً لهم .

وأرسل الحرس إلى أبي بكر يخبرونه بالغارة ، فبعث إليهم أن الزموا مكانكم ، وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النواضح[3] إليهم ، فتفرَّق المرتدون ، واتبعهم المسلمون على إبلهم .

الهُجُومُ اللَّيلي : أُسلوب جديد في تاريخنا الإسلامي :

وركب أبو بكر في أهل المدينة وأمراء الأنقاب إلى ما حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها ، فلما التقى مع المرتدين من بني عبس ، وبني مُرَّة ، وذبيان ، ومن ناصب معهم من بني كنانة ، وأمدَّهم طليحة بابنه حبال ، فصنعوا مكيدة ، وهي أنهم عمدوا إلى أنخاء[4] فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال ، فلما رأتها إبل المسلمين نفرت ، وتفرَّقت ، فلما وقع ما وقع ظنَّ المرتدون بالمسلمين الوهن ، وبات

---

(١) البريد : المسافة بين المنزلتين ، حُدّد باثني عشر ميلاً شرعياً ، أي بما يعادل بحساب الذراع الشرعية : ٢٢١٧٦ متراً ، « كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان » ، ص ٧٧ .

(٢) ذو الحُسَى (أو الحُسَا) : واد بأرض الشَّرَبَّة من ديار عبس وغطفان ، معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٣) الناضح : البعير الذي يستقى عليه الماء ، لسان العرب : جـ ٢ ص ٦١٩ .

(٤) عند ابن خلدون : « بلعبات اتخذوها » ، والمراد هنا جلود بقر أو إبل أو شياه ..

أبو بكر رضي الله عنه قائماً لَيْلَه يعبّئ الناس ، ثم خرج على تعبئة من آخر الليل ، وعلى ميمنته النعمان بن مُقَرّن المزني ، وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مقرّن المزني ، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرّن ، فما طلع الفجر إلاّ وهم والعدو في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين حساً ولا همساً ، حتى وضعوا فيهم السيوف ، فما طلعت الشمس حتى ولوهم الأدبار ، وقتل حبال ، واتبعهم أبو بكر ومن معه حتى نزل بذي القصة[1] . وكان أَوَّلَ الفتح[2] .

كما وثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وفعل من وراءهم كفعلهم ، فحلف أبو بكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، فكان ذلك من أكبر العون على هيبة الإسلام ونصر أهله .

عَوْدَةُ أُسَامَة بن زَيْد وَمَنْ مَعَهُ :

ثم قدم أُسامة بن زيد بعد ذلك بليال ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وأمر الجند أن يريحوا الخيل والإبل ، ثم ركب أبو بكر رضي الله عنه في الذين كانوا معه قبل مجيء أُسامة إلى ذي القصة ، فقال

---

(١) ذو القَصَّة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً (الميل الشرعي : ١٨٤٨ م) وهو طريق الرَّبَذة ، معجم البلدان : جـ ٤ ص ٣٦٦ .

(٢) ابن خلدون : جـ ٢ ص ٦٦/٦٧ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٣ .

المسلمون : لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلاً ، فقال رضي الله عنه : والله لا أفعل ، ولأُواسينكم بنفسي .

وجعل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يكلّمان أبا بكر في الرجوع إلى المدينة لَمـَّا رأَيا عزمه على المسير بنفسه ، وقال عمر : ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فِئَةً وردءاً فإنَّك إن تُقْتَل يرتد الناس ، ويَعْلُ الباطل . وأبو بكر مظهر المسير بنفسه ، وسألهم بمن نبدأ من أهل الرِّدَّة ؟ فاختلفوا عليه ، فقال أبو بكر : نصمد لهذا الكذاب على الله وعلى كتابه طليحة .

وسار أبو بكر بمن معه إلى ذي حسيً وذي القَصة ، والنعمان وعبد الله وسويد بنو مُقَرِّن المزني على ما كانوا عليه من حيث التعبئة ، ثم نزل على أهل الرَّبَذة بالأبرق[1] وهناك جماعة من بني عبس وذبيان ، وطائفة من بني كنانة ، فاقتتلوا ، فهزم الله المرتدين ، وأُخذ الحطيئة أسيراً ، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً وقد غلب بني ذبيان وبني عبس على البلاد ، فسار بنو ذبيان وبنو عبس إلى بُزاخة حيث آزروا طليحة الأسدي[2] .

☆ ☆ ☆

---

(١) أبْرَقُ الرَّبَذَة : موضع كانت به وقعة بين أهل الرِّدّة وأبي بكر ، كان من منازل بني ذُبيان فغلبهم عليه أبو بكر ، معجم البلدان : جـ ١ ص ٦٨ .

(٢) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٤/أ .

أبرع قادة في التاريخ

ألوية الأمراء

« أحد عشر لواءً »

☆ قال علي رضي الله عنه : إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ماقال رسول الله ﷺ يوم أُحد : شم سيفك[1] ولا تفجعنا بنفسك ، فوالله لئن أُصِبْنا بك لا تَكُن للإسلام بعدك نظام[2] أبداً .

أراح أُسامة بن زيد جنده في المدينة المنوَّرة ، بعد غياب عنها دام حوالي ستين يوماً[3] ، وبعد استجمام الجند وراحتهم ، ركب الصِّدِّيق متقدماً الجند شاهراً سيفه من المدينة إلى ذي القصة ، وعلي بن أبي طالب يقود براحلة الصديق رضي الله عنهما ، فسأله الصحابة وألحوا

(١) شِمْ سيفك : اغمده ، لسان العرب : جـ ١٢ ص ٣٣٠ .

(٢) النِّظامُ : مانظمتَ فيه الشيء من خيط وغيره ، ونِظامُ كل أمر : مِلاكه ، لسان العرب : جـ ١٢ ص ٥٧٨ .

(٣) وفي الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٣ : « وقيل كانت غزوته وعودته في أربعين يوماً » .

عليه أن يرجع إلى المدينة ، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره مِمَّن يؤمِّره من الشجعان والأبطال ، فأجابهم إلى ذلك ، وعقد لهم الألوية لأحد عشر أميراً ، وهم[1] :

١ ـ سيف الله خالد بن الوليد : ووجهته إلى بُزاخة حيث طليحة بن خويلد الأسدي ، ثم إلى البطاح حيث مالك بن نويرة ، ثم إلى اليمامة حيث مسيلمة الكذاب .

٢ ـ عكرمة بن أبي جهل : إلى اليمامة حيث مسيلمة الكذاب ، إنه ومن معه قوّة احتياطيَّة لأكبر معركة منتَظَرة ـ معركة اليمامة ـ إنه وقواته قوة رادفة لخالد بن الوليد[2] ، ثم إلى عُمَان[3] ، ثم إلى مهرة ، فحضرموت فاليمن .

٣ ـ عمرو بن العاص : إلى تبوك ، ودومة الجندل ، حيث : قضاعة ووديعة والحارث .

٤ ـ شرحبيل بن حسنة : إلى اليمامة في إثر عكرمة بن أبي جهل ،

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٥ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٤٩ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) في الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٩ / ب : « كان مع عكرمة (٢٠٠٠) رجل » ، وهدف قوات عكرمة إبقاء مسيلمة في اليمامة يتوقَّع هجوم المسلمين ، وعدم تمكينه من ترك قواعده ، وتجميده في مواقفه حتى يفرغ خالد من حروبه في شمال وأواسط الجزيرة العربيَّة .

(٣) حيث ذو التاج : لقيط بن مالك الأزدي .

وهو أيضاً قوّة احتياطيّة لمعركة اليمامة الفاصلة ، إنه ومن معه قوة رادفة لخالد ، ثم وجهته حضرموت .

٥ً ـ خالد بن سعيد بن العاص : إلى الحَمْقَتِين[١] (مشارف الشام) .

٦ً ـ طريفة بن حاجز[٢] : إلى شرق المدينة ومكّة ، حيث هوازن وبنو سُلَيْم .

٧ً ـ العلاء بن الحضرمي : إلى البحرين حيث المنذر بن النعمان بن المنذر .

٨ً ـ حذيفة بن محصن الغلفاني[٣] : إلى عُمَان (إلى أهل دبا) حيث ذو التاج : لقيط بن مالك الأزدي ، ثم إلى مهرة ، فحضرموت ، فاليمن .

٩ً ـ عرفجة بن هرثمة البارقي : إلى عُمَان ، ثم مهرة ، فحضرموت ، فاليمن .

١٠ً ـ المهاجر بن أَبي أُميَّة : إلى اليمن ، حيث الأَسود العنسي ، ولمعونة الأبناء على قيس بن مكشوح ، ثم إلى كندة ، فحضرموت .

١١ً ـ سُوَيْد بن مُقَرِّن المزني : إلى تهامة اليمن .

---

(١) الحَمْقَتان : من مشارف الشام ، هذا ما ورد في معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٠٥ .

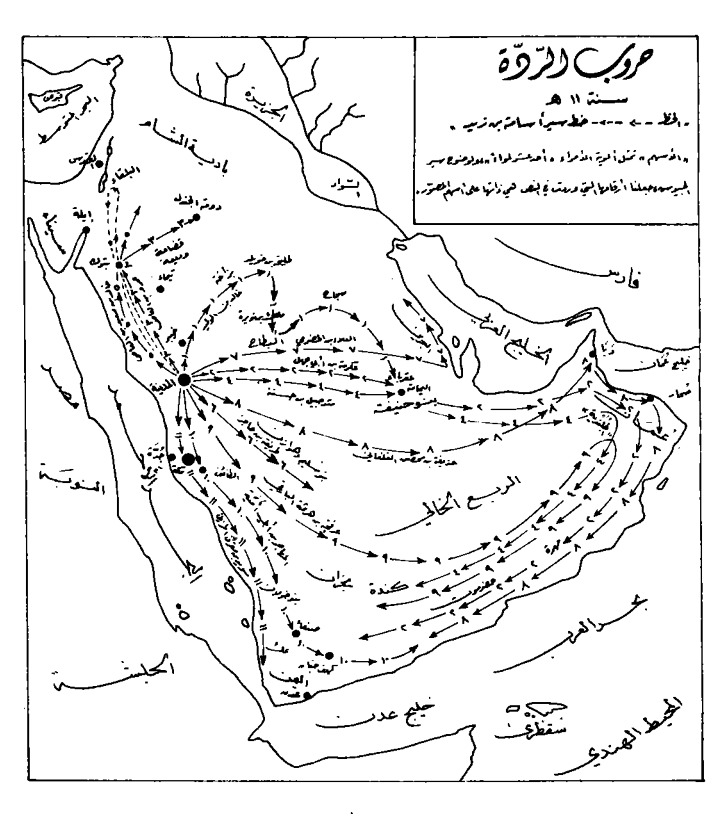
(٢) طرفة بن حاجب (البداية والنهاية) ، وهو : معن بن حاجز (الكامل في التاريخ) .

(٣) حذيفة بن محصن الغطفاني في بعض المراجع .

ألوِيَةُ الأُمراء ـ أَحَدَ عَشَرَ لواءً

أمير الجيش :	وجهة الجيش :
١ خالد بن الوليد	إلى بُزَاخة حيث طليحة بن خويلد الأسدي . ثم إلى البطاح حيث مالك بن نويرة . ثم إلى اليمامة حيث مسيلمة الكذاب .
٢ عكرمة بن أبي جهل	إلى اليمامة حيث مسيلمة الكذاب (فهو قوة احتياطية لأكبر معركة في اليمامة ، إنَّه قوة رافدة لخالد بن الوليد ، ومعه ٢٠٠٠ رجل) . ثم إلى عُمَان ، حيث ذو التاج : لقيط بن مالك الأزدي . ثم إلى مهرة ، فحضرموت ، فاليمن .
٣ عمرو بن العاص	إلى تبوك ودومة الجندل حيث : قضاعة ووديعة والحارث .
٤ شرحبيل بن حسنة	إلى اليمامة (في إثر عكرمة ، وهو أيضاً قوة احتياطية لمعركة اليمامة الفاصلة) ، ثم إلى حضرموت .

أمير الجيش :	وجهة الجيش :
٥ خالد بن سعيد بن العاص	إلى الحمقتين (مشارف الشام) .
٦ طريفة بن حاجز	إلى شرق المدينة ومكة ، حيث هوازن وبنو سُلَيم .
٧ العلاء بن الحضرمي	إلى البحرين حيث : المغرور : المنذر بن النعمان بن المنذر .
٨ حذيفة بن محصن الغلفاني	إلى عُمَان (أهل دبا) حيث ذو التاج : لقيط بن مالك الأزدي . ثم إلى مهرة ، فحضرموت ، فاليمن .
٩ عرفجة بن هرثمة البارقي	إلى عُمَان . ثم إلى : مهرة ، فحضرموت ، فاليمن .
١٠ المهاجر بن أبي أميَّة	إلى اليمن ، حيث بقايا (الأسود العنسي) ولمعونة الأبناء على قيس بن مكشوح ، ثم إلى كندة ، فحضرموت .
١١ سويد بن مقرّن المزني	إلى تهامة اليمن ، سواحل البحر الأحمر من مكة وحتى باب المندب .



☆ لاحظ عظمة الصدّيق رضي الله عنه، تمعّن المصوّر والجيوش ووجهة كل منها
إنّها تغطية سليمة رائعة لجميع أرجاء الجزيرة العربيّة

كِتَابُ الصِّدِّيق إلى النَّاسِ كافَّة ،

« أُسُسُ قِتالِ المرتدين » :

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه لكل أمير كتاب عهده على حِدَته . وفصل كل أمير بجنده من ذي القصة ، ورجع الصديق إلى المدينة ، ونصُّ الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا ، من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى ، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، نقر بما جاء به ، ونكفِّر من أبى ذلك ونجاهده ، أما بعد ، فإن الله أرسل بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حيّاً ، ويحق القول على الكافرين ، فهدى الله بالحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرهاً ، ثم توفَّى اللهُ رسولَهُ ، وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأُمَّته ، وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ

---

(١) الزُّمر : ٣٠ .

الخَالِدُونَ ﴾[1] ، وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَـدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَـابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئـاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّـاكِرِينَ ﴾[2] ، فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمـداً قـد مـات ، ومن كان إنمـا يعبـد الله فـإنَّ الله حَيٌّ لا يموت ، ولا تأخذه سِنَة ولا نوم ، حـافـظ لأمره ، منتقم من عـدوِّه ، وإني أُوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم وما جاءكم بـه نبيكم ﷺ ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فـإن كل من لم يهـده الله ضـال ، وكل من لم يعنه الله مخـذول ، ومن هـداه غير الله كان ضـالاً ، قـال الله تعـالى : ﴿ مَنْ يَهْـدِ ٱللهُ فَهُـوَ ٱلْمُهْتَـدِي وَمَنْ يُضْلِـلْ فَلَنْ تَجِـدَ لَـهُ وَلِيّـاً مُرْشِداً ﴾[3] ، ولن يقبل له في الدنيا عمل عبـد حتى يقرَّ بـه ، ولم يقبل لـه في الآخرة صرف ولا عـدل ، وقـد بلغني رجـوع من رجـع منكم عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام وعمل به ، اغتراراً بالله وجهلاً بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلملائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَـهُ وَذُرِّيَّتَـهُ أَوْلِيـاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَـدُوٌّ بِئسَ لِلظَّـالِمِينَ بَـدَلاً ﴾[4] ، وقــال : ﴿ إِنَّ

---

(١) الأنبياء : ٣٤ .

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

(٣) الكهف : ١٧ .

(٤) الكهف : ٥٠ .

ٱلشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّما يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ ﴾[1] .

وإني بعثت إليكم في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله ، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل ، فإن أجابَ وأقرَّ وعمل صالحاً قُبِلَ منه ، وأعانه عليه ، وإن أبى حاربه عليه حتى يفيءَ إلى أمر الله ، ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنار[2] ، وأن يقتلهم كل قتلة ، وأن يسبي النساء والذَّراري ، ولا يقبل من أحد غير الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابه في كل مجمع لكم ، والداعية الأذان ، فإن أَذَّن المسلمون فكفُّوا عنهم ، وإن لم يُؤَذِّنوا فسلوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقرُّوا حمل منهم على ما ينبغي لهم »[3] .



(١) فاطر : ٦ .

(٢) وهنا : قتل المرتدين بنفس الطريقة التي قتلوا بها المسلمين .

(٣) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٤ / ب ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٦٩ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٦ .

طليحة الأسدي

☆ أمَرَ الصّدّيقُ خالداً أن يقاتل أهل الرِّدَّة على خمس خصال ، فمن ترك واحدة من الخمس قاتله : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت .

[الاكتفاء : جـ ٢ ص ٤ / أ]

تنبَّأ طليحة بن خويلد الأسدي في حياة رسول الله ﷺ ، فوجَّه إليه ﷺ ضرار بن الأزور عاملاً على بني أسد ، وأمرهم بالقيام على من ارتد ، فضعف أمر طليحة حتى لم يبقَ إلا أخذه ، وضربه ضرار بسيف فلم يصنع فيه شيئاً ـ لدرع كان يحميه ـ فأشاع طليحة بين الناس أن السِّلاح لا يعمل فيه ، فكثر جمعه ثانية[(١)] .

اجتمع حول طليحة قومه من بني أسد ، وغطفان ، وانضم إليه بنو

(١) الطبري : جـ ٣ ص ٢٥٧ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٢ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٠ .

عبس وذبيان ، وبعث إلى بني جذيلة والغوث وطيء[1] يستدعيهم إليه ، فبعثوا أقواماً منهم بين أيديهم ليلحقوا بهم على أثرهم سريعاً[2] . وتبعه كثير من العرب عصبيَّة ، فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطيء .

وأرسل أبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه عدي بن حاتم إلى قومه بني طيء ، وقال له : أدرك قومك ، لا يلحقوا بطليحة ، فيكون دمارهم . فذهب عدي إلى قومه ، فأمرهم أن يبايعوا الصِّدّيق ، وأن يراجعوا أمر الله ، فقالوا : لا نبايع أبا الفصيل أبداً ـ يعنون أبا بكر ـ فقال عدي : والله ليأتينكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر[3] ، ولم يزل عدي بهم حتى لانوا .

ولما عقد الصِّدّيق لخالد على قتال طليحة قال له : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله سَلَّه الله على الكفار والمنافقين » ، ولما توجه خالد من ذي القصة وفارقه الصِّدّيق ، واعده أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء ، وأظهر ذلك ليرعبوا الأعراب ، وأمره أن يذهب أوّلاً إلى

---

(١) ذكر ابن خلدون : جـ ٢ ص ٦٥ : « واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد » .

(٢) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٧ .

(٣) الطبري : جـ ٣ ص ٢٥٥ ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ٣/ب ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٤ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٠ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٧ .

طليحة الأسدي في بزاخة ، ثم يذهب بعده إلى بني تميم ، ثم إلى مالك بن نويرة في البطاح ، ثم إلى اليمامة حيث مسيلمة الكذاب .

وَصِيَّة الصِّدِّيقِ لِخَالدٍ :

وحين انطلق خالد لوجهته لقتال أهل الردة[1] أمره الصِّدِّيق أن يقاتلهم على خمس خصال ، فمن ترك واحدة من الخمس قاتله : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت . وعهد إليه أن لا يقاتل حتى يُعْذِر إليهم ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ويبيِّن لهم الذي لهم في الإسلام ، والذي عليهم فيه ، ويحرص على هداهم ، فمن أجابه إلى مادعاه إليه من الناس كلهم أحمرهم وأسودهم قُبِل منه ، وليُعْذر إلى من دعاه بالمعروف[2] .

وكان استجابة القبيلة لأذان المسلمين تعبيراً عن إسلامها وبُعْدِها عن الارتداد .



---

(١) كان عليه حرب أقوى قوات المرتدين : طليحة ، ومالك ، ومسيلمة .

(٢) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٤/أ .

استشهاد عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم رضي الله عنهما :

سار خالد بجند الله ، وجعل على مقدمة الأنصار الذين معه ثابت بن قيس بن شماس ، وبعث بين يديه : ثابتَ بن أقرم الأنصاري ، وعكاشة بن محصن طليعةً واستطلاعاً ، فتلقَّاهما حِبَال أخو طليحة ، فقتلاه ، فبلغ خبره طليحة ، فخرج مع أخيه سلمة ، فقتل طليحةُ عكاشةَ ، وقتل أخوه سلمة ثابتاً ، ورجعا[1] .

وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين شهيدين ، فشقَّ ذلك على المسلمين ، ومال خالد إلى بني طيء ، فخرج إليه عدي بن حاتم فقال : أنظر في ثلاثة أيّام ، فإنهم قد استنظروني حتى يبعثوا إلي من تعجل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم ، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحةُ من سار إليه منهم ، وهذا أحب إليك من أن يعجلهم إلى النار ، فلما كان بعد ثلاث ، جاءه عدي في خمسمئة مقاتل ممن راجع الحق ، فانضافوا إلى جيش خالد ، وقصد خالد بني جديلة ، فقال له عدي : يا خالد ، أجلني أياماً حتى آتيهم ، فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ طيِّئاً ، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تابعوه ، فجاء خالداً بإسلامهم ،

---

(۱) الكامل في التاريخ : جـ ۲ ص ۲۳٤ .

ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب ، فكان عدي خير مولود وأعظم بركة على قومه[1] .

في بُزَاخة كانَتِ ٱلمعركةُ ٱلفاصِلَةُ :

ثم سار خالد حتى نزل بأجأ وسلمى[2] ، وعبّى جيشه هنالك ، والتقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له بُزَاخَة[3] ، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على مَنْ تكون الدائرة . وجاء طليحة فيمن معه من قومه ومن التف معهم أو انضاف إليهم . وقد حضر معه عيينة بن حصن في سبعمئة من قومه بني فزارة[4] .

الأَحْمَقُ ٱلْمُطَاعُ :

قال عيينة لقومه : والله لنبيٌّ من بني أسد أحبُّ إليَّ من نبيٍّ من بني هاشم ، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه .

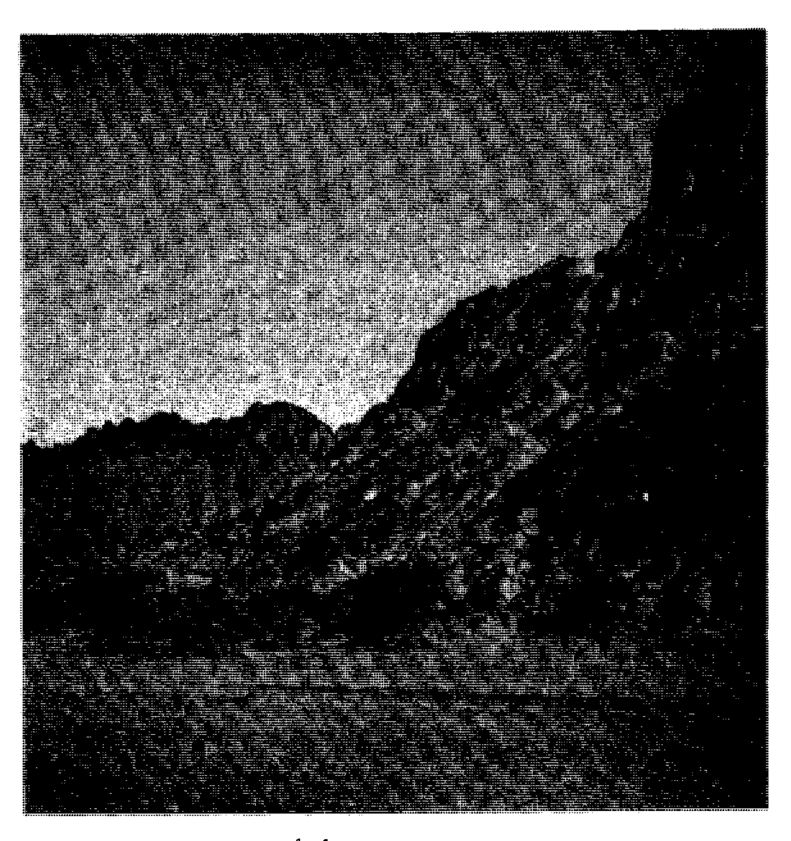
---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٥/أ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٥ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٦ .

(٢) أجأ وسلمى : جبلان نزلت بها طيّء ، بينهما وبين المدينة ـ شمالاً ـ على غير الجادّة : ثلاث مراحل ، معجم البلدان : جـ ١ ص ٩٤ .

(٣) بُزَاخَةُ : ماء لطيّءٍ بأرض نجد ، وقال أبو عمرو الشيباني : ماءٌ لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طُلَيْحةَ بن خُويلد الأسدي ، معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٠٨ .

(٤) كان طليحة مستعداً للنزال منذ انطلق خالد من ذي القصّة .



☆ جانب من جبل « أجأ »

وقال عيينَةُ لطليحة : لاأبالك ، هل أنت مُرِينا بعض نبوَّتك ، فقد رأيتَ ورأينا ما كان يأتي محمد ؟

قال طليحة : نعم ، فبعث عيوناً له حيث سار خالد بن الوليد من المدينة مُقْبِلاً إليهم ، فعلم بقدوم خالد قبل أن يسمعوا بقدومه ، فقال : إن بعثتم فارِسَيْن على فَرَسَيْن أَغَرَّين مُحَجَّلين من بني نصر مُرَقَّعَيْن أتوكم من القوم بعين . فبعثوا فارِسَيْن فلقيا عيناً لخالد فقالا : ماوراءك ؟ فقال : هذا خالد بن الوليد في المسلمين قد أقبلوا ، وهذا يدل على أن العين هذا ليس مسلماً ، وليس من جند المسلمين ، فليس من خُلَق المسلم البوح بأسرار جيشه ، والنطق بحركة الجيش لمجرد أنَّه سُئِل .. فأتوا به إليه ـ إلى طليحة ـ فزادهم فتنة ، وقال : ألم أقل لكم ؟!

المعركَةُ :

اصطف الناس ، وعرض خالد شروط الصِّدِّيق ، وأبى طليحة على خالد أن يقر بما دعاه إليه ، فعاد خالد إلى معسكره ، واستعمل تلك الليلة على حرسه مكنف بن زيد الخيل ، وعدي بن حاتم ، وكان لهما صدق نِيَّة ودين ، فباتا يحرسان في جماعة من المسلمين ، فلما كان في السَّحَر نهض خالد فعبّأ أصحابه ، ووضع ألويته في مواضعها ، ودفع

اللواء الأعظم إلى زيد بن الخطاب[1] فتقدم به ، وتقدَّم ثابت بن قيس بن شماس بلواء الأنصار .

وطلبت طيء لواءً يُعْقَد لها ، فعقد خالد لواءً ودفعه إلى عديٍّ بن حاتم ، وكان مجموع من مع خالد : ٦٠٠٠ مسلم مجاهد .

فلما سمع طليحةُ حركةَ القوم عبّأ أصحابه ، وجعل خالد يسوِّي الصفوف على رجليه ماشياً ، وطليحة يسوِّي أصحابه على راحلة راكباً ، حتى إذا استوت الصفوف ، زحف بهم خالد حتى دنا من طليحة ، فلما انتهى إليه ، خرج إليه طليحة بأربعين غلاماً جُلَداء من جنوده مُرْداً ، فأقامهم في الميمنة ، فقال : اضربوا حتى تأتوا الميسرة ، فتضعضع الناس .. فقال خالد : يا معشر الأنصار ، اللهَ اللهَ[2] ، واقتحم رضي الله عنه وسط القوم ، وكَرَّ عليه أصحابُه ، واختلطت الصفوف والسُّيوف ، وضرَّس[3] خالد في القتال ، فجعل يُقْحِمُ فرسَهُ وسط أشد الاشتباكات ، فقال المسلمون له : اللهَ اللهَ ، فإنك أمير القوم ولا ينبغي

(١) سنورد ترجمته بعد أحداث معركة (حديقة الموت) .

(٢) أي انصروا اللهَ ودينه في موقفكم هذا ، والزموا جانب الله ، وراقبوا الله في موقفكم هذا ..

(٣) الضَّرْسُ : امتحان الرجل فيا يدَّعيه من علم أو شجاعة ، لسان العرب : جـ ٦ ص ١١٩ ، والمراد هنا : باشر القتال بنفسه ، وخاض غماره بشجاعة وقوة وعنف ، فشتان بين خالد الذي خاض المعركة بنفسه واقفاً على رأس قواته ، وبين طليحة الذي ترك قيادة المعركة لعيينة بن محصن (الأحمق المطاع) .

لك أن تقدم ، ويجيب رضي الله عنه : إني لأعرف ما تقولون ، ولكني والله ما رأيتني أَصْبَرَ ، وأخاف هزيمة المسلمين ، ثم حمل خالد رضي الله عنه ، فوالله ما رجع حتى لم يبقَ من أولئك الأربعين رجل واحد ، وقاتل رضي الله عنه يومئذ بسيفين حتى قطعهما[1] .

أَجَاءكَ جِبْرِيلُ ؟ :.

وجلس طليحة ملتفاً في كساء له يتنبأ لهم ، وينظر ما يوحى إليه فيما يزعم ، وجعل عيينة يقاتل حتى إذا ضجر من القتال يجيء إلى طليحة وهو ملتفّ في كسائه فيقول : أجاءك جبريل[2] ؟ فيقول طليحة : لا ، فيرجع عيينة للقتال ، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ، ويرد عليه طليحة مثل ذلك ، فلما كان في الثالثة ، قال له : هل جاءك جبريل ؟ قال : نعم ، قال : فما قال لك ؟ قال طليحة : قال لي : إن لك رحى كرحاه ، وحديثاً لا تنساه[3] . فقال عيينة : أظن أن قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه . ثم قال : يا بني فزارة انصرفوا ، وانهزم وانهزم الناس عن طليحة ، فلما جاءه المسلمون ركب

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٥/ب .

(٢) كان يدّعي أن ملكاً في السّماء اسمه « ذو النون » يأتيه ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ٥/أ .

(٣) قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة مِمَّن أسلم وحَسُنَ إسلامه : أخبرنا عمّا كان يقول لكم طليحة من الوحي ؟ فقال : إنه كان يقول : الحمام واليمام [وفي الكامل في التاريخ واليمان جـ ٢ ص ٢٣٥] والصرد والصوام ، قد صُمْنَ قبلكم بأعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام .

على فَرَسٍ كان قـد أعـدّهـا للهرب ، وأركـب امرأتـه « النوار » على بعير له ، ثم انهزم بها إلى الشام ، ونزل على بني كلب .

تفرَّق جمع طليحة ، وتشتت جمع فزارة ، فقـالت بنو عـامر وسُلَيم وهوازن : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسولـه ، ونُسْلِمُ لحكمـه في أموالنا وأنفسنا[1] .

وعاد طليحة بعد ذلك إلى رشده فـأسلم ، وجـاء مكّـةَ معتمراً أَيّـام الصِّدِّيق ، واستحيي أن يقابله مُـدَّة حيـاتـه ، ورجع فشهـد القتـال مع خالد ، وكتب الصديق إلى خـالـد : أن استشره في الحرب ولا تؤمِّره ، أي معاملته بنقيض ما كان يقصد ويريد من الرياسـة ، وهـذا من فقـه الصِّـدِّيـق رضي الله عنـــه[2] ، ثم أتى عُمَرَ بنَ الخطـاب فبـايعـه حين استُخْلِفَ ، فقال له : أنت قاتل عكاشة وثابتـاً ؟ والله لاأُحبـك أبـداً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مـا يهمـك من رَجُلَيْن أكرمهما الله بيـدي ، ولم يُهِنّي بأيديهما ؟ فبايعه عمر رضي الله عنه .

وأَسَرَ خالدُ بعد المعركة عيينة ، وبعث به إلى المدينة المنوَّرة مجموعة يداه إلى عنقه ، فدخل المدينة وهو كذلـك ، فجعل الولـدان والغلمـان

---

(١) لما سبق من أخبـار : الاكتفـاء : جـ ٢ ص ٥/ب ، ابن خلـدون : جـ ٢ ص ٧٠ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٥ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٨ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٦٠ .

(٢) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٥ .

يطعنونه بأيديهم ، ويقولون : أي عدو الله ، ارتددت عن الإسلام ؟ فيقول : والله ما كنت آمنت قط ، فلما وقف بين يدي الصّدّيق استتابه ، وحقن دمه ، ثم حَسُنَ إسلامُهُ بعد ذلك ، وكذلك مَنَّ على قرة بن هبيرة ، وكان أحد الأُمراء مع طليحة ، فأسره خالد مع عيينة[1] .

حَرْبٌ مُجْلِيَة ، أَوْ سِلْمٌ مُخْزِيَةٌ :

وحين فرغ خالد رضي الله عنه من بزاخة ، قدم وفد من بني أسد وغطفان على أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه[2] ، فقال أبو بكر : اختاروا بين خصلتين : حرب مجلية ، أو سلم مخزية ، فقال خارجة بن حصن : هذه الحرب المجلية فقد عرفتها ، فما السلم المخزية ؟ فقال الصّدّيق : تُقِرُّون أن قتلانا في الجنَّة ، وأن قتلاكم في النار ، وأن تردُّوا علينا ما أخذتم منا ، ولا نرد عليكم مما أخذنا منكم شيئاً ، وأن تُدُّوا قتلانا كل قتيل مئة بعير منها أربعون في بطونها أولادها ، ولا نُدِّي قتلاكم ، ونأخذ منكم الحَلْقة والكراع[3] ، وتلحقون بأذناب الإبل حتى يُرِي اللهُ

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٧/أ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٦٠ .

(٢) من بني أسد وغطفان من بايع خالد في بزاخة ، ومن لم يبايعه وجاء الصّدّيق رضي الله عنه يرى رأيه وشروطه ، لذلك شروطه رضي الله عنه لما سيأتي من أيام : « حتى يُرِي اللهُ خليفة نبيّه والمؤمنين فيكم ، أو يرى منكم إقبالاً إلى ما خرجتم منه » .

(٣) الحَلْقة : السلاح ، والكُراعُ من الدوابِّ : مادون الكَعْبِ من ذواتِ الحافرِ ، وقد يستعمل الكُراعُ أيضاً للإبل كما استعمل في ذوات الحافر . لسان العرب : جـ ٨ ص ٣٠٦ .

خليفَةَ نبيِّه والمؤمنين ما شاء فيكم، أو يرى منكم إقبالاً إلى ما خرجتم منه .

فقال خارجة بن حصن : نعم يا خليفة رسول الله ، قال أبو بكر : عليكم عهد الله وميثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء الليل وآناء النهار ، وتُعَلِّموه أولادكم ونساءكم ، ولا تمنعوا فرائض الله في أموالكم . قالوا : نعم ، فقال عمر بن الخطاب : يا خليفة رسول الله ، كل ما قلت كما قلت ، إلا أن تدوا من قتلوا منا بأنهم قوم قُتِلوا في سبيل الله ، واستشهدوا ، فتتابع الناس على قول عمر ، فوافق الصِّدِّيق ، وأخذ منهم ما قدر عليه من الحلقة والكراع .

«لِيَزِدْكَ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ خَيْراً ، وَٱتَّقِ ٱللهَ في أَمْرِكَ» :

وكتب الصِّدِّيق إلى خالد حين جاءه أنَّه هزم طليحة وشتت شمل أتباعه ومن كان في صَفِّه : لِيَزِدْكَ ما أنعم الله به عليك خيراً ، واتقِ الله في أمرك ، فإن الله مع الذين اتَّقَوا والذين هم محسنون ، جِدَّ في أمر الله ولا تَنِيَنَّ ، ولا تظفرن بأحد من المشركين قَتَلَ من المسلمين إلاَّ قتلته ونكَّلت به غيره ، ومن أخذت ممن حاد الله أو ضادّه ممن ترى أن في ذلك صلاحاً فاقتله[1] .

فأقام خالد ببزاخة شهراً في طلب المرتدين الذين غدروا بالمسلمين

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٨ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٦٣ .

الذين كانوا بين أظهرهم ، فنكَّل بهم من حرق ورضخ بالحجارة ، ومن رمي من شواهق الجبال ، كل ذلك معاملة بالمثل ، وليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدَّة العرب .

أُمُّ زمل سَلْمى بِنْتُ مَالِك بن حذيفة :

وتجمعت طائفة كثيرة بعد هزيمة بزاخة من أصحاب طليحة من بني غطفان ، واجتمعت إلى امرأة يقال لها : أُم زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة ، وكانت من سيدات العرب كأُمها أم قِرفة[1] ، وكان يُضْرَب بأُمِّها المثل في الشرف لكثرة أولادها ، وعزّة قبيلتها وبيتها ، فلما اجتمعوا إليها ، وقد انضم إليهم آخرون من بني سُلَيم وطيء وهوازن وأَسد ، فصاروا جيشاً كثيفاً ، وَعَظُمَ أَمرها ، حرَّضتهم لقتال خالد ، فلما سمع خالد بها وبمن معها ، سار إليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وهي راكبة على جمل أُمِّها الذي كان يقال له : من يمس جَمَلَها فله مئة من الإبل ، وذلك لعزِّها ، فهزمهم خالد ، وعقر جَمَلَها ، وقتلها ، وبعث بالفتح إلى الصِّدِّيق رضي الله عنه[2] .

---

(١) أُم قِرفة بنت ربيعة بن بدر (الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٦) ، وكانت أُم زمل قد سُبِيَت فوقعت لعائشة فأعتقتها ، ورجعت إلى قومها وارتدت (ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٢) ، أعلام النساء : جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(٢) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٩ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٣٢٦ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٢ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٦٤ .

الفُجَاءَةُ إياسُ بن عَبْدِ اللهِ بن عَبْد ياليل[1] :

قدم الفجاءة على الصِّدِّيق في المدينـة ، فزعم أنـه أسلم ، وطلب من الصِّدِّيق أن يجهِّز معه جيشاً يقاتل بـه أهل الرِّدَّة ، فجهز معـه جيشـاً ، فلمـا سـار ، جعـل لا يمر بمسلم ولا مرتـد إلا قتلـه وأخـذ مـالــه ، ومن (الجِــوَاء)[2] أرســل نخبــة بن أبي الميثــاء ـ من بني الشريــد ـ وأمره بالمسلمين ، فشن الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن[3] .

سمع الصِّدِّيق بخبر فجاءة ، فبعث وراءه جيشاً بقيـادة طريفـة بن حاجز فردَّه ، فلما أمكنه بعث به إلى البقيع ، فجمعت يداه إلى قفـاه ، وأُلقي في النار ، فحرقه وهو مقموط[4] .



---

(١) في الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٧ : إياس بن عبد ياليل .

(٢) الجِوَاءُ : من نواحي اليمامة ، معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٧٤ .

(٣) الاكتفـــاء : جـ ٢ ص ١٦/ب ، الكامــل في التـــاريــخ : جـ ٢ ص ٢٣٧ ، ابن خلــدون : جـ ٢ ص ٧٢ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٦٤ .

(٤) أي مجموعاً بين يديه ورجليه بحبل (الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٧/أ) ، وتحريقـه في النـار معـاملـة بالمثل ، فقد حرَّق فجاءة المسلمين وغير المسلمين .

سَجاح بنت الحارث بن سويد
« أمّ صادر »

☆ أَمْسَتْ نَبِيَّتُنَا أُنثى نَطِيفُ بِهَا
وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ ٱلنَّاسِ ذُكْرانَا .

اختلفت آراء بني تميم أيام الرِّدَّة :

١ً ـ منهم من ارتد ومنع الزكاة .

٢ً ـ ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى أبي بكر الصِّدِّيق .

٣ً ـ ومنهم من توقَّف لينظر في أمره .

فبينما هم كذلك ، إذ أَقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقفان التغلبية[1] من الجزيرة[2] ، وهي من نصارى العرب ، وقد ادّعت النبوَّة ، ومعها جنود من قومها ومن لحق بهم ، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصِّدِّيق ، فلما مرَّت ببلاد بني تميم دعتهم إلى أمرها ، فاستجاب لها عامَّتهم ، وكان ممن استجاب لها مالكُ بن نويرة التميمي ،

---

(١) ولقبها كما في « الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٦ » : أُم صادر .

(٢) أرض الجزيرة : مابين دجلة والفرات ، شمال موقع مدينة بغداد .

وعطارد بن حاجب ، وجماعة من سادات أمراء بني تميم ، وتخلّف آخرون منهم عنها ، ثم اصطلحوا على أن لا حرب بينهم ، إلاَّ أن مالك بن نويرة لما وادعها ثناها عن عودها ، وحرَّضها على بني يربوع ، ثم اتفق الجميع على قتال الناس ، وقالوا : بمن نبدأ ؟ فقالت لهم فيما تسجعه ، أعدُّوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرباب[1] ، فليس دونهم حجاب[2] .

ثم تعاهد القوم على نصرها ، وقال عطارد بن حاجب في ذلك :

أَمْسَتْ[3] نَبِيَّتُنَا أُنثى نَطِيفُ[4] بِهَا وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ ٱلنَّاسِ ذُكْرانا[5]

ثم قصدت سجاح اليمامة بجنودها ، لتأخذها من مسيلمة ، فهابه قومها ، وقالوا : إنَّه قد استفحل أمره وعَظُم ، ولكنها قالت لهم :

---

(١) الرَّبائِبُ : جمع الرَّبيبة : الغنم التي يربيها الناس في البيوت لألبانها . وغنم ربائب : تربط قريباً من البيوت ، لسان العرب : جـ ١ ص ٤٠٢ . والرباب هنا اسم قبيلة .

(٢) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٠ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٩ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٦٩ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٢ .

(٣) وهي (أضحت) في بعض المصادر : الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤١ ، مروج الذهب : جـ ٢ ص ٣١٠ .

(٤) في الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤١ : « نطوف » .

(٥) وفيها يقول الشاعر :

أضَلَّ اللهُ سَعْيَ بني تميم كما ضَلَّت بخطبتها سَجَاحُ

عليكم باليمامة ، وذفوا ذفيف[1] الحمامة ، فإنها غزوة صَرَّامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة . فعمدوا لحرب مسيلمة .

وسمع مسيلمة بمسيرها إليه ، فخافها على بلاده ، لانشغاله بحرب ثمامة بن أثال ، وأحرج موقفه أكثر وصول عكرمة بن أبي جهل بجند المسلمين إلى اليمامة ، فأيَّدَ ثمامةَ بن أثال، وعسكر ينتظر قدوم خالد بن الوليد . فبعث مسيلمة إلى سجاح يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذي كان لقريش لو عدلت ، « وقد ردّ الله عليك النِّصف الذي رَدَّتْ قريش ، فَحَباكِ به ، وكان لها لو قَبِلَتْ[2] ، فقالت : لا يردّ النِّصف إلا من حَنَف[3] ، فاحمل النِّصف إلى خيل تراها كالسَّهْف »[4] .

سَجَاحُ ومُسَيْلَمَةُ :

ثم ركب مسيلمة إليها في أربعين من قومه بني حنيفة ، فاجتمعا في خيمة ، فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من نصف الأرض وقبلت ذلك ، قال مسيلمة : سمع الله لمن سمع ، وأطمعه بالخير إذا طمع ، ولا

---

(١) التذفيف : بالذال والدال تحريك جناحي الطائر ليطير .

(٢) أي لو قبلت قريش ذلك ، وسيمر تفصيل ذلك عند الحديث عن مسيلمة ومراسلته لرسول الله ﷺ .

(٣) حَنَف : مال .

(٤) السَّهْفُ : حرشف السمك خاصة (أرادت أنها قليلة) ، لسان العرب : جـ ٩ ص ١٦٤ .

يـزال أمره في كل مـا يسر مجتمـع ، رآكم ربكم فحيَّـاكم ، ومن وحشتـه أخلاكم ، ويـوم دينـه أنجـاكم فـأحيـاكم علينـا من صلـوات معشر أبرار ، لا أشقيـاء ولا فُجَّـار ، يقومون الليل ويصومون النهـار لربكم الكُبـار ، ربِّ الغيوم والأمطار .

وقـال أيضـاً : لمـا رأيت وجـوههم حَسُنَت ، وأبشـارهم[1] صفت ، وأيديهم طَفُلَت[2] ، قلت لهم : لا النسـاء تـأتون[3] ، ولا الخمر تشربون ، ولكنكم معشر أبرار تصومون (يومـاً وتكلفون يومـاً)[4] ، فسبحـان الله إذا جـاءت الحيـاة كيف تَحْيَوْن ، وإلى ملـك السماء كيف ترقَوْن . فلو أنها حبة خردلة لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثُّبور .

ثم قال مسيلمة لسجاج لما خلا بها : ماذا يوحى إليك ؟

فقـالت : وهـل يكـون النسـاء يبتـدئن ؟ بـل أنتَ مـاذا أُوحي إليك ؟

---

(١) في الطبري : جـ ٣ ص ٢٧٢ : وأبصارهم صفت .

(٢) طَفُلَت : صارت طفلة ، أي نعمت .

(٣) وقد كان مسيلمة شرع لمن اتبعه ، أن الأعزب يتزوَّج ، فإذا ولـد لـه ذكر فيحرم عليـه النسـاء حينئذ . إلاَّ أن يموت ذلك الولد الذكر ، فتحل له النساء حتى يولد لـه ذكر ، وهـذا يخـالف الطبيعة والفطرة الإنسانيَّة .

(٤) النصُّ الـذي أوردنـاه نصّ البـدايـة والنهـايـة : جـ ٦ ص ٣٢١ والـزيـادة من الطبري : جـ ٣ ص ٢٧٢ .

فقـال : أَلَمْ تَرَ إلى ربِّـك كيف فعل بـالحُبْلى ؟ أخرج منهـا نسمـة تسعى ، من بين صفاق وحشى .

قالت : أشهد أنَّك نبي .

فقال لها : هل لك أن أتزوَّجك وآكل بقومي وقومك العرب ؟

قالت : نعم . وأقامت عنده ثلاثة أيـام ، فـدار بينهما من الفحش والبذاءة ما نترفَّع عن ذكره هنا .

ثم رجعت إلى قومها ، فقالوا : ما أَصْدَقَك[1] ؟

فقالت : لم يَصْدُقْني شيئاً .

فقالوا : إنه قبيح على مثلك أن تتزوَّج بغير صـداق ، فبعثت إليـه تسأله صداقاً ، فقال : أَرسلي إليَّ مُؤَذِّنك ، فبعثته إليه ، وهو شَبَث بن رِبعي ، فقال : نادِ في قومك أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قـد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمـد ـ يعني صلاة الفجر وصلاة العشـاء ـ فكان هذا صداقها .

ثم انثنت سجاحُ راجعة إلى بلادهـا لمـا بلغهـا دنو خـالـد من أرض اليمامـة ، فكرَّت راجعـة إلى الجـزيرة بعـدمـا قبضت من مسيلمـة نصف

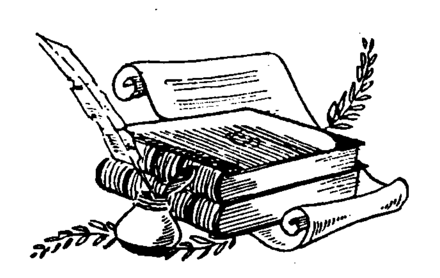
---

(١) ما أَصْدَقَك ؟ : أي ما الذي قدَّمه مَهْراً لها عند زواجه منها .

خراج أرضه ، فأقامت في قومها بني تغلب إلى أيام معاوية بن أبي سفيان[1] .

توفيت في البصرة بعد أن حسن إسلامها ، فصلى عليها سَمُرَةُ بن جندب .

☆ ☆ ☆



(١) لأخبار سجاج : البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٠ و ٣٢١ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٢ و ٧٣ ، الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٦ ،. الطبري : جـ ٣ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ ، مروج الذهب : جـ ٢ ص ٣١٠ ، أعلام النساء : جـ ٢ ص ١٧٧ .

مالك بن نويرة اليربوعي التميمي

☆ أمر خالد منادياً فنادى دافئوا أسراكم ، وهي في لغة كنانة كناية عن القتل ، فبادر ضرار بن الأزور بقتلهم وكان كنانياً ، وظن القوم أنه أراد القتل ، ولم يرد إلا الدفء ، فقتلوهم وقتل ضرارٌ مالكاً ..

صانع مالكُ بن نويرة سجاحاً حين قدمت من أرض الجزيرة ، فلما اتصلت بمسيلمة ثم عادت إلى بلادها ، ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره ، وتلوَّم في شأنه .

وكان مالك نازلاً في مكان يقال له « البُطَاح »[1] ، فقصده خالد بمن معه ، وبعث السَّرَايا في البُطَاح يدعون الناس ، وأمرهم بداعية الإسلام ، وأن يأتوه بكل من لم يُجِبْ ، وإن امتنع أن يقتلوه ، وكان قد أوصاهم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلاً ، فإن أَذَّن القوم فكفُّوا عنهم ، وإن لم يؤذِّنوا فاقْتُلُوا واغنَمُوا ،

(١) البُطَاح : ماء في ديار بني أسد ، معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٤٥ .

وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة ، فإن أقرّوا فاقبلوا منهم ، وإن أبوا فقاتلوهم .

استقبل أمراء بني تميم سرايا خالد بالسمع والطّاعة ، وبذلوا الزكوات ، إلا ما كان مع مالك بن نويرة ، فإنّه متحيّر في أمره ،متنحٍّ عن الناس ، فجاءته السّرايا فأسروه ، وأسروا معه أصحابه ، واختلف الرأي فيهم ، فشهد أبو قتادة الحرث بن ربعي الأنصاري أنهم أقاموا الصلاة ، وقال آخرون : إنهم لم يؤذّنوا ولم يُصَلّوا ، فبات الأسرى في قيودهم في ليلة شديدة البرد ، فنادى منادي خالد ، انطلاقاً من حكم الإسلام فيهم : « استوصوا بالأسرى خيراً » ، أن أدفئوا أسراكم ، وهي في لغة كنانة كناية عن القتل ، فظن القوم أنه أراد القتل ، فقتلوهم ، وقتل ضرار بن الأزور ـ وكان كنانياً ـ مالك بنَ نويرة ، فلما سمع خالد الداعية ، خرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه[1] .

واصطفى خالد امرأة مالك بن نويرة ، وهي أُم تميم ابنة المنهال بن عصمة الرياحي ، فلما حَلّت تزوجها .

وما قتل خالدُ مالكَ بن نويرة إلا بعد أن حاوره ، وأنّبه على

---

(١) لأخبار مالك : الاكتفاء : جـ ٢ ص ٨ / أ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢١ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٣ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤١ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٨٠ .

ما صدر منه من متابعة سجاح ، وعلى منعه الزكاة ، وقال خالد له : ألم تعلم أنها قرينة الصلاة ؟ فقال مالك : إن صاحبكم - يعني رسول الله ﷺ - كان يزعم ذلك ، فقال خالد : أهو صاحبنا وليس بصاحبك ؟ يا ضرار اضرب عنقه ، فضرب عنقه .

وتبالغ الروايات هنا عندما تقول : وأمر خالد برأس مالك فجعل في حَجَرَيْن وطبخ على الثلاثة قِدْراً ، فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب من المرتدة وغيرهم ، وقالت الروايات مظهرة المبالغة في أكبر صورها : إن شَعْر مالك جعلت النار تعمل فيه إلى أن نضج لحم القدر ، ولم تفرغ الشعر لكثرته ! !

ولام أبو قتادة خالداً فيما صنع ، وأتى أبو قتادة الصِّدِّيق فشكاه ، وتكلَّم عمر مع أبي قتادة في خالد ، وقال للصِّدِّيق : اعزله فإن في سيفه رهقاً ، فقال أبو بكر : لا أَشِيمُ[1] سيفاً سَلَّه اللهُ على الكفار ، ووَدّى الصديق لمتمم بن نويرة - أخي مالك - دِيَّتَه .

وغضب أبو بكر حتى أَمر قتادة أن يرجع إلى جيش المسلمين ، وألاّ يخرج من صفوفه هكذا كلما أراد دون إذن أميره ، فالتحق أبو قتادة بجند المسلمين في اليمامة ، فلم يكن هناك هوادة في رجوعه إلى خالد ثانية ، ولم يشفع له مقامه العظيم ، وطول صحبته ، فالطاعة أولاً وأخيراً .

---

(١) لاأشيم : أي لاأغمد .

واستمر أبو بكر بخالد على الإمارة ، وإن كان قد اجتهد في قتل مالك بن نويرة ورأى بعض الصحابة أنَّه أخطأ[1] .

ولنا عودة لمناقشة هذه الأحداث وبخاصة زواج خالد من أم تميم ، ولكن قبل الانتقال إلى مسيلمة الكذاب وأخباره نذكر بعض النصوص بمصادرها دون تعليق أيضاً :

« فلما حَلَّت تزوَّجها[2] » ، « وتركها لينقضي طهرها ، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايره »[3] ، « وعنَّفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب »[4] ، « قال الصِّدِّيق : وأبى خالدٌ ، إنه لحريص على النساء حين يصاهر عدوه وينسى مصيبته »[5] .

وسنرى أيضاً نصَّ رسالة الصِّدِّيق إلى خالد بعد الانتهاء من أحداث مسيلمة الكذاب .

☆ ☆ ☆

(١) كما أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى بني جذيمة فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا : صبأنا صبأنا ، ولم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا أسلمنا ، فوداهم رسول الله ﷺ حتى ردَّ إليهم ميلغة الكلب ، ورفع عليه الصلاة والسلام يديه وقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » ، ومع هذا لم يعزل خالداً عن الإمارة .

(٢) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢١ .

(٣) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٧ / ب .

(٤) الطبري : جـ ٣ ص ٢٧٨ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٣ .

(٥) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٤ / ب .

مُسَيْلمة الكذّاب

أخطر أعداء الإسلام

☆ « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض للهِ يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

محمد رسول الله ﷺ

في سنة تسع للهجرة[1] ، قدم وفد بني حنيفة إلى المدينة المنوَّرة ، وفيهم مسيلمة بن حبيب ، ورجال بن عنفوة ، وطلق بن علي بن قيس ، وعليهم سلمان بن حنظلة ، فأتوا رسول الله ﷺ وخَلَّفوا مسيلمة في رحالهم ، فلما أسلموا ، ذكروا مكانه في رحالهم وقالوا : يا رسول الله ، إنّا خلّفنا صاحباً لنا في رحالنا يبصرها لنا ، وفي ركابنا يحفظها علينا ، فقال ﷺ : « ليس بشرِّكم مكاناً لحفظه ركابكم

(١) هذا في السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٩٢ ، أما في البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥٦ : سنة عشر للهجرة .

ورحالكم »[1] ، فقيل ذلك لمسيلمة ، فقال : عرف أن الأَمْرَ إليَّ من بعده .

ثم نزل مسيلمة في دار زينب[2] بنت الحارث بن كريز ، وكان مسيلمة قد تزوَّجها قديماً ثم فارقها ، فلهذا نزل في دارها ، فأَتت بنو حنيفة بمسيلمة إلى رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه معه عسيب من سعف النخل في رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ - وهم يسترونه بالثياب - كَلَّمه وسأله الأمر من بعده ، فقال رسول الله ﷺ : « لو سأَلتني هذا العسيب ما أَعطيتكه ، لو سألتني هذه القطعة ما أُعطيتها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرتَ ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي رأيتُ فيه ما أُريت[3] ،

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥٦ ، ابن كثير السّيرة النبويّة : جـ ٤ ص ٩٦ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٦٥ ، السّيرة الحلبيّة : جـ ٣ ص ٢٥٢ .

(٢) هي زينب في الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٦ ، وفي السّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٩٦ زينب أيضاً ، وقيل اسمها « كيسة » ، وهي بنت الحارث امرأة من الأنصار ثم من بني النجار ، وكان مسيلمة قد تزوجها قديماً ثم فارقها ، فلهذا نزلوا في دارها ، وهي أم عبد الله بن الحارث بن كريز ، (البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥٠ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٦٥ .

(٣) روى البخاري عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض ، فوضع في كفي سوارين من ذهب فكَبُرا عليَّ ، فأُوحي إلي أن انفخهما فنفختهما ، فذهبا ، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة » ، الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٦ ، السّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٩٤ ، السّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٥٣ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥٠ ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ٨/أ .

وهذا ثابت[1] يجيبك عني »[2] .

ولما انصرف الوفد أعطاهم ﷺ جوائزهم ، خمس أواق من فضّة ، وأمر لمسيلمة بمثل ما أعطاهم ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد مسيلمة وتنبّأ ، وقال : إني قد أُشركت معه ، وقال للوفد الذي كان معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أما إنه ليس بشرّكم مكاناً ، ما ذاك إلا لما يعلم أني قد أُشركتُ في الأمر معه . وكان يعرف أبواباً من النيرجات ، فكان يدخل البيضة إلى القارورة[3] ، وهو أول من فعل ذلك ، ويقال إنه كان يقص جناح الطير ثم يصله ، ويَدَّعي أن ظبيَّة تأتيه من الجبل فيحلب منها[4] .

ثم جعل يسجع لهم السجعات ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : لقد أنعم الله على الحُبْلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى ، وقال : والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً .

---

(١) ثابت بن قيس بن شماس ، وهو الذي يقال له خطيب رسول الله ﷺ .

(٢) ولما سبق من أخبار راجع أيضاً : الطبقات الكبرى لابن سعد : جـ ١ ص ٣١٦ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٦٥ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٦ ، الوفا في أحوال المصطفى : ص ٧٥٨ ، تاريخ خليفة بن خياط : ص ١٠١ طبعة دار القلم سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(٣) البيضة بنت يومها إذا أُلقيت في الخل والنشادر يوماً وليلة ، فإنّها تمتد كالخيط ، فتجعل في القارورة ، ويصب عليها الماء فتجمد ، السّيرة الحلبية : جـ ٣ ص ٢٥٣ .

(٤) عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٦ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥٠ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٩٥ ، السّيرة الحلبيّة : جـ ٣ ص ٢٥٣ .

وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع هذا يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي ، فاجتمعت معه بنو حنيفة[1] على ذلك .

الرَّجَالُ بنُ عُنْفُوَة[2] :
« شَاهِدُ الزُّور »

الرَّجَال بن عنفوة ، واسمه نهار ، وكان قد أسلم وتعلَّم شيئاً من القرآن الكريم ، وصحب رسول الله ﷺ مُدَّة .

يقول رافع بن خديج : كان بالرجال من الخشوع ولزوم قراءة القرآن والخيرِ في ما نرى شيءٌ عجيب ، خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً وهو معنا جالس مع نفر فقال : « أحد هؤلاء النفر في النار » ، قال رافع : فنظرت في القوم فإذا بأبي هريرة ، وأبي أروى - واسمه ربيعة الدوسي - وطفيل بن عمرو الدوسي ، والرَّجَال بن عنفوة ، فجعلت أنظر وأعجب وأقول : من هذا الشقي ؟! فلما توفي رسول الله ﷺ رجعت بنو حنيفة فسألت ما فعل الرَّجَال ؟ فقالوا : افتتن ، هو الذي

---

(١) جاء في الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٥ : واسم حنيفة : أثال بن لجيم بن سعد بن علي بن بكر بن وائل بن مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة ، يكنَّى أبا ثمامة .

(٢) وهو الرحال في طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣١٦ ، وكذلك « الرحال » في البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥١ ، وفي الروض الأُنف : العنفوة يابس الحلي وهو نبات ، وذكره أبو حنيفة فقال فيه : عنثو بالثاء المثلثة ، وقال : هو يابس الحلي ، والحلي : النصي ، وهو نبت ، الروض : جـ ٤ ص ٢٢٥ .

شهد لمسيلمة على رسول الله ﷺ أنَّه أشركه في الأمر من بعده ، فقلت : ما قال رسول الله ﷺ فهو حقّ .

وفي رواية مرَّ عليه رسول الله ﷺ وهو جالس مع أبي هريرة وفرات بن حَيَّان ، فقال لهم : « أحدكم ضرسه في النار مثل أُحد » ، فلم يزالا خائفين حتى ارتد الرَّجَال مع مسيلمة ، وشهد له زوراً أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر معه ، وألقى لمسيلمة شيئاً مما كان يحفظه من القرآن ، فادعاه مسيلمة لنفسه ، فحصل بذلك فتنة عظيمة لبني حنيفة[1] .

وكتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد أُشركت في الأمر معك ، فإن لنا نصف الأمر ، ولقريش نصف الأمر ، ولكن قريشاً قوم يعتدون .

الرُّسُلُ لا تُقْتَل :

قدم على رسول الله ﷺ بكتاب مسيلمة رسولان ، فقال ﷺ لهما : « وأنتما تقولان مثل ما يقول ؟ » قالا : نعم ، فقال ﷺ : « أما والله لولا أن الرُّسل لا تقتل لضربت أعناقكما » .

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٨/أ و ب ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٩٧ ، وذكر ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٤ : الرَّجال بن عنفوة من أشراف بني حنيفة .

قال عبد الله بن مسعود : جاء عبد الله بن النواحة ، وأسامة بن أثال رسولين لمسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ ، فقال لهما : أتشهدان أني رسول الله ؟ فقالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « آمنت بالله ورسُلِه ، ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما » ، قال عبد الله بن مسعود : فخصَّت السُّنَّة بأن الرسل لا تقتل[1] .

الجَوَابُ ٱلفَصْلُ :

وكتب رسول الله ﷺ إلى مسيلمة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »[2] .



خَالِدُ بنُ الوليد في اليَمَامَةِ :
« سَمْعٌ وَطَاعَةٌ » لخليفة رسول الله ﷺ :

كان أبو بكر رضي الله عنه قد أمر خالداً إذا فرغ من أسد وغطفان ومالك بن نويرة .. أن يقصد اليمامة ، وأكَّد عليه في ذلك .

---

(١) السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٩٨ .

(٢) البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥١ .

قال شريك الفزاري[1] : كنت ممن حضر بزاخة ، فجئت أبا بكر ، فأمرني بالمسير إلى خالد ، وكتب معي إليه : « أما بعد فقد جاءني في كتابك مع رسولك تذكر ماأظفرك الله بأهل بزاخة ، وما فعلتَ بأسد وغطفان ، وأنك سائر إلى اليمامة ، وذلك عهدي إليك ، فاتقِ الله وحده لاشريك له ، وعليك بالرفق بمن معك من المسلمين ، كن لهم كالوالد ، وإياك يا خالد بن الوليد ونخوة بني المغيرة ، فإني قد عصيت فيك من لم أعصه في شيء قط[2] ، فانظر بني حنيفة إذا لقيتهم إن شاء الله ، فإنك لم تلقَ قوماً يشبهون بني حنيفة ، كلهم عليك ، ولهم بلاد واسعة ، فإذا قدمت فباشر الأمر بنفسك ، واجعل على ميمنتك رجلاً ، وعلى ميسرتك رجلاً[3] ، واجعل على خيلك رجلاً ، واستشر من معك من الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، واعرف لهم فضلهم ، فإذا لقيت القوم وهم على صفوفهم ، فالقهم إن شاء الله وقد أعددت للأمور أقرانها ، فالسهم للسهم ، والرمح للرمح ، والسيف للسيف ، واحمل أسيرهم على السيف[4] ، وهوّل فيهم

---

(١) شريك بن عَبْدة ، صحابي بعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد رسولاً باليمامة ، (هامش الاكتفاء : جـ ٢ ص ٩/أ) .

(٢) تلميح لطيف لمسألة زواجه من أم تميم زوجة مالك بن نويرة .

(٣) لدقة تقدير الصّدّيق للموقف ، ولهذه المراسلات المستمرة المتّصلة لنا تعليقنا بعد الانتهاء من إيراد الأخبار العسكرية .

(٤) العربي لا يقبل منه إلا الإسلام .

القتـل ، واحرقهم بـالنـار ، وإيـاك أن تخـالف أمري ، والسَّـلام عليك »[1] .

فلما انتهى الكتاب إلى خالد وقرأه قال : « سمع وطاعة » .

سار خالد إلى قتال بني حنيفة بـاليامـة ، وعبّـأ معـه المسلمين ، وكان على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس ، فسار لا يمرّ بأحد من المرتـدين إلا نَكَّل به ، وسيَّر الصِّدِّيق خلف خالد سَرِيَّة لتكون ردءاً له من ورائه .

وكان عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة في انتظار خالـد ، ولم يقـاتل عكرمـة وشرحبيل بني حنيفـة لأنهم في نحـو أربعين ألفـاً من المقـاتلـة « كان عـددُ بني حنيفـة يومئـذ أربعين ألف مقـاتـل في قراهـا وحُجَرها »[2] ، فعجَّل عكرمة قبل مجيء شرحبيل ، فنـاجزهم فَنُكِبَ ، فانتظر خالـداً[3] ، وبعـد فشل عكرمـة قبل مجيء خـالـد ، كتب إليـه أبـو بكر رضي الله عنـه : « لا ترجـع فتـوهن النـاس ، وامضِ - بعـد اليامة - إلى حذيفة وعرفجة فقاتلوا مهرة وأهل عُمَان »[4] .

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٩/أ ، والتحريق بالنار معاملـة بـالمثل : فحبيب بن زيـد رضي الله عنـه قطعه مسيلمة عضواً عضواً ، حتى قطع يديـه من المنكبين ، ورجليـه من الوركين ، ثم حرَّقـه بـالنـار حتى مـات ، وهـو لا يرجـع عن قـول : لاإلـه إلا الله محمـد رسـول الله ، الاكتفـاء : جـ ٢ ص ١٣ ، وأُسد الغابة : جـ ١ ص ٤٤٣ .

(٢) الطبري : جـ ٣ ص ٢٨١ .

(٣) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٤ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٣ .

(٤) ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٤ .

مُسَيْلَمَةُ في عَقْرباء :

ولما سمع مسيلمة بقدوم خالد ، عسكر بمكان يقال لـه عقربـاء[1] في طرف اليمامة ، وندب الناس وحثَّهم على لقاء خالد ، فأتاه أهل اليمامة ، وجعل على مجنبتي جيشـه : المحكم بن الطفيـل ، والرَّجـال بن عُنْفُـوة[2] « شاهد الزور » .

والتقى خالد بعكرمة وشرحبيل ، فتقدم وقـد جعل على مقـدمـة الجيش شرحبيـل بن حسنـة ، وعلى المجنبتين زيـداً[3] وأبـا حـذيفـة بن عتبة بن ربيعة[4] .

---

(١) كان مجموع ماصار تحت إمرة خالد : ١٢٠٠٠ مجاهد ، ومع مسيلمة من بني حنيفـة ومن تبعـه : ٤٠,٠٠٠ رجل .

(٢) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٥ .

(٣) زيد بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) أبـو حـذيفـة بن عتبـة بن ربيعـة بن عبـد شمس بن عبـد منـاف القرشي ، من السـابقين إلى الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، استشهد يوم اليمامـة ، كان من فضلاء الصحـابـة ، جمع الله له الشرف والفضل ، استشهد وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنـة ، وهو الـذي قـال لرسول الله ﷺ يـوم بـدر بعـد مقتـل أبيـه عتبـة : والله مـاشككت في أبي ولا في مصرعـه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأيـاً وحلمـاً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يقربـه ذلـك إلى الإسـلام ، فلما رأيت ماأصابـه ، وذكرت مـامـات عليـه من الكفر بعـد الـذي كنت أرجو لـه ، أحزنني ذلك ، فدعا ﷺ له بخير ، وفي ابن سعد : جـ ٣ ص ١٨٤ اسمـه : هُشَيْم ، وفي أُسـد الغـابـة : جـ ٦ ص ٧٠ : مهشَّم ، هاشم .

مُجَاعَة بن مرارة الحنفي « رهينة لساعة قادمة » :

ومرَّت المُقَدِّمةُ في الليل بنحو من أربعين - وقيل ستين - فارساً ، عليهم مجاعة بن مرارة الحنفي ، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر ، وفي طريق عودته إلى قومه أسرهم المسلمون ، فلما جيء بهم إلى خالد قال لهم : ماذا تقولون يا بني حنيفة ؟ قالوا : نقول منا نبيّ ومنكم نبي ، فقتلهم إلا واحداً اسمه سارية ، فقال : أيُّها الرجل ، إن كنت تريد عدا بعدول هذا خيراً أو شراً فاستبقِ هذا الرجل - يعني مجاعة بن مرارة - ، فاستبقاه خالد مقيَّداً لعلمه بالحرب والمكيدة ، وكان سيِّداً في بني حنيفة ، شريفاً مطاعاً ، وجعله في الخيمة مع امرأته[1] .

وكان خالد كلما نزل منزلاً واستقربه ، دعا مُجَاعة فأكل معه وحدَّثه ، فقال له ذات يوم : أخبرني عن صاحبك - يعني مسيلمة - ما الذي يقرأكم ؟ هل تحفظ منه شيئاً ؟ قال : نعم ، فذكر له شيئاً من رجزه ، فقام خالد وضرب بإحدى يديه على الأُخرى وقال : يا معشر المسلمين ، اسمعوا إلى عدو الله كيف يعارض القرآن ، ثم قال : ويحك يا مجاعة ، أراك رجلاً سَيِّداً عاقلاً ، اسمع إلى كتاب الله عز وجل ، ثم

---

(١) ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٥ ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٠/أ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٥ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٤ .

انظر كيف عارضه عدو الله ، فقرأ عليه خالد : ﴿ سَبِّحِ اسم رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، فقال مجاعة : أما إن رجلاً من أهل البحرين كان يكتب ، أدناه مسيلمة وقرَّبه حتى لم يكن يُعَدّ له في القُرْبِ عنده أحد ، فكان يخرج إلينا فيقول : ويحكم يا أهل اليمامة ، صاحبكم والله كذَّاب ، وما أظنكم تتهموني عليه ، إنكم لترون منزلتي عنده وحالي ، هو والله يكذبكم ويبايعكم بالباطل ، قال خالد : فما فعل ذلك البحراني ، قال : هرب منه ، كان لا يزال يقول هذا القول حتى بلغه فخافَهُ على نفسه ، فهرب فلحق بالبحرين ، قال خالد : هاتِ زدنا من كذب الخبيث ، فقال مجاعة بعض رجز مسيلمة ، فقال خالد : وهذا كان عندكم حقّاً ، وكنتم تصدقونه ؟ قال مجاعة : لو لم يكن عندنا حقّاً لما لَقِيَتْكَ غداً أكثر من عشرة ألف سيف يضاربونك فيه حتى يموت الأعجل ، قال خالد : إذاً يكفيناكم الله ويعز دينه ، فإياه يقاتلون ، ودينه يريدون[1] .

عُمَيْرُ بنُ ضَابِي اليَشْكُري :

وأرسل خالدُ عميرَ بن ضابِي اليشكري[2] ، وقال له : تقوم إلى قومك فاكسرهم ، فأتاهم ولم يكونوا علموا بإسلامه ، وكان مجتهداً فارساً

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٠/أ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٨٦ ، وأخباره أيضاً في أسد الغابة : جـ ٥ ص ٦١ و ٦٢ .

(٢) يختلف في صحبته ، وكان من سادات اليمامة .

سَيِّداً ، فقال : يا معشر أهل اليمامة ، أظلَّكُم خالد في المهاجرين والأنصار ، يركب القوم يتتابعون إلى فتح اليمامة ، قد قضَوا وطراً من أسد وغطفان ، وأنتم في أكفهم ، وقولهم لا قوة إلا بالله ، إنّي رأيت أقواماً إن غلبتموهم بالصبر غلبوكم بالنصر ، وإن غلبتموهم على الحياة غلبوكم على الموت ، وإن غلبتموهم بالعدد غلبوكم بالمَدَد ، لستم والقوم سواء ، الإسلام مقبل ، والشرك مدبر ، وصاحبهم نبيّ ، وصاحبكم كذّاب ، ومعهم السُّرور ، ومعكم الغرور ، فالآن والسَّيف في غمده ، والنبل في جفيره[1] قبل أن يُسَلَّ السيف ، ويُرمى بالسهم ، سرتُ إليكم مع القوم عشراً ، فكذَّبوه واتهموه ، فرجع عنهم[2] .

ثُمَامَةُ بنُ أُثال الحنفي :

وقام ثمامة بن أثال الحنفي في بني حنيفة فقال : اسمعوا مني وأطيعوا أمري تُرْشَدُوا ، إنَّه لا يجتمع نبيَّان بأمر واحد ، إن محمداً ﷺ لا نبي بعده ، ولا نبي يُرْسَلُ معه ، ثم قرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، حَم تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللهِ ٱلعَزِيزِ ٱلعَلِيمِ ، غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ ٱلعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لآإلهَ إلاَّ هُوَ إليهِ ٱلمَصِيرُ ﴾[3] ، هذا كلام الله

---

(١) الجَفِيرة : الجَعْبَةُ الكِنَانة التي فيها السهام ، لسان العرب : جـ٤ ص ١٤٣ .

(٢) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٩/ب .

(٣) غافر : ١ و ٢ و ٣ .

عز وجل ، أين هذا من : يا ضفدع بنت ضفدعين لحسن ما تنقنقين ، لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدّرين .. والله إنكم لترون أن هذا الكلام ما يخرج من عال .

ثم ذكر ثمامة كيف هُدِرَ دَمُه ، ثم عفو رسول الله ﷺ عنه ، وقام بأمر هذه الأُمة من بعده رجل هو أفقههم في أنفسهم لا تأخذه في الله عز وجل لومة لائم[1] ، ثم بعث رجلاً لا يسمى باسم ، ولا اسم أبيه ، يقال له : سيف الله ، معه سيوف الله كثيرة ، فانظروا في أمركم ، فآذاه القوم جميعاً ، وقال ثمامة :

مسيلمة ارجع لا تَمْحَكِ[2] فإنَّك في الأَمر لم تشركِ
كذبتَ على اللهِ في وَحْيِهِ فكانَ هُوَ الهَوَى الأَنْوكِ[3]

المعركة :

قال مسيلمة لأتباعه وقومه قبيل المعركة الفاصلة : اليوم يوم الغيرة ، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيّات ، وينكحن غير حظيات ، فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم[4] .

---

(١) يعني الصّدّيق خليفة رسول الله .

(٢) تمحك : المَحْكُ : اللجاجة عند المساومة والغضب ، ورجل مَحِكٌ ومماحك ومَحْكان إذا كان لجوجاً عسِر الخُلُق ، لسان العرب : جـ ١٠ ص ٤٨٦ .

(٣) الأنوك : الأحمق ، لسان العرب : جـ ١٠ ص ٥٠١ .

(٤) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٤ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٥ .

وتقدم خالد رضي الله عنه بالمسلمين حتى نزل بهم على كثيب يشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، وقدَّم رايته مع زيد بن الخطاب ، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة[1] ، وهو على الميمنة ، وعلى الميسرة شجاع بن وهب ، وعلى الخيل البراء بن مالك ، ثم عزله واستعمل عليها أسامة بن زيد وقاتل البراء راجلاً ، ثم أعاده خالدُ على قيادة الخيل فصنع الأعاجيب[2] .

وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس ، والعرب على

---

(١) وهو سالم بن عبيد بن ربيعة ، أبو عبد الله ، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، أصله من إصْطَخْر من أهل فارس ، وكان من فضلاء الصحابة وكبارهم ، وهو معدود من المهاجرين لأنّه لما أعتقته ثُبَيتة الأنصاريّة زوج أبي حذيفة اتخذه أبو حذيفة ولياً له وتبنّاه . فلذلك عُدَّ من المهاجرين ، وهو معدود في بني عبيد من الأنصار لعتق مولاته زوج أبي حذيفة له ، وهو معدود في قريش لما ذكرناه ، وفي العجم أيضاً لأنّه منهم ، ويُعَدّ في القُرَّاء لقول رسول الله ﷺ : « خذوا القرآن من أربعة » فذكره منهم ، وكان عمر يكثر الثناء عليه ، حتى قال لما أوصى عند موته : لو كان سالم حيّاً ماجعلتها شورى ، أي كان يصدر عن رأيه فيمن يُوَليه الخلافة . شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، واستشهد يوم اليمامة وهو يحمل اللواء ، قيل له : نخشى من نفسك شيئاً فنولّي اللواء غيرك ؟ فقال : بئس ـ والله ـ حامل القرآن أنا إن لم أثبت ، فقطعت يمينه ، فأخذ اللواء بيساره ، فقطعت يساره فاعتنق اللواء وهو يقرأ : ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ ، الآية ، ﴿ وكأيّن من نبي قاتل معه ربيُّون كثير ﴾ الآية ، فلما صُرِعَ قال لأصحابه : مافعل أبو حذيفة ؟ قيل : قُتِلَ ، قال : فما فعل فلان ؟ ـ رجل سمّاه ـ قيل : قُتِلَ ، قال : فأضجعوني بينهما . [أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٣٠٧ ، ابن سعد : جـ ٣ ص ٨٥] .

(٢) الطبري : جـ ٣ ص ٢٨٨ ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٠ / ب ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٥ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٥ .

راياتها ، ومجاعة بن مرارة مُقَيَّد في الخيمة مع أُم تميم امرأة خالـد رضي الله عنه ، وبدأ القتال عنيفاً بين المسلمين والمرتدّين ، فقـال مجـاعـة : يـاأُمّ تميم[1] ، هل لك أن أُخالعك ، إن غلب أصحابي كنت لك جاراً ، وأنتِ كذلك ؟ فقالت : نعم ، فتحالفا على ذلك .

وكانت الصدمة الأُولى في المعركـة عنيفـة قـاسيـة ، انهزم الأعراب خلالها ، حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالـد ، وهمُّوا بقتل أُمِّ تميم ، حتى أجارها مجاعة ، وقال : نِعْمَتِ الحُرَّة هذه[2] ، ولم ينقذ بنو حنيفة مجاعـةَ لانشغالهم في قتال المسلمين ، والقيود التي لا يستطيع الفرار بها .

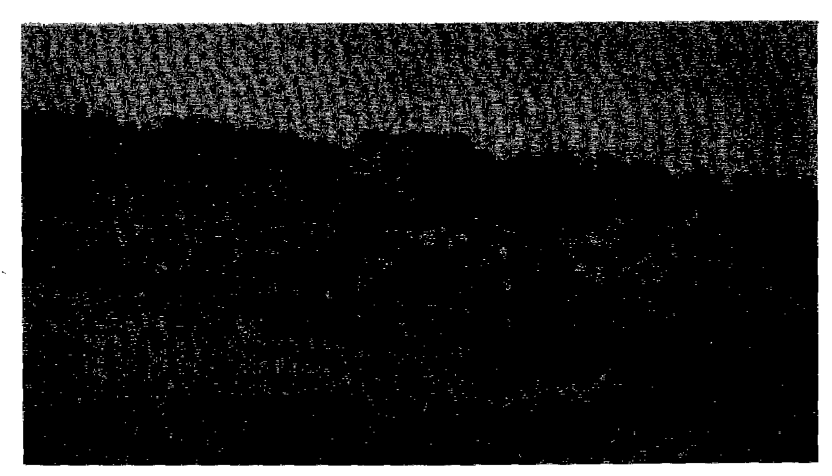
وقتل الرَّجال بن عنفوة في هذه الجولة ، قتلـه زيـد بن الخطـاب رضي الله عنه .

وتنادى كبار الصحابـة ، وقـال ثـابت بن قيس بن شماس : بئس ماعودتم أقرانكم ، ونادوا من كل جانب : أخلصنا يـاخـالـد ، فخلصت ثلة من المهاجرين والأَنصار ، وصـار البراء بن معرور كالأسـد الثـائر ، وقاتلت بنو حنيفة قتـالاً لم يعهـد مثلـه ، وجعلت الصحـابـة يتواصون بينهم ويقولون : ياأصحـاب سورة البقرة ، بَطُلَ السحر اليوم ، وحفر

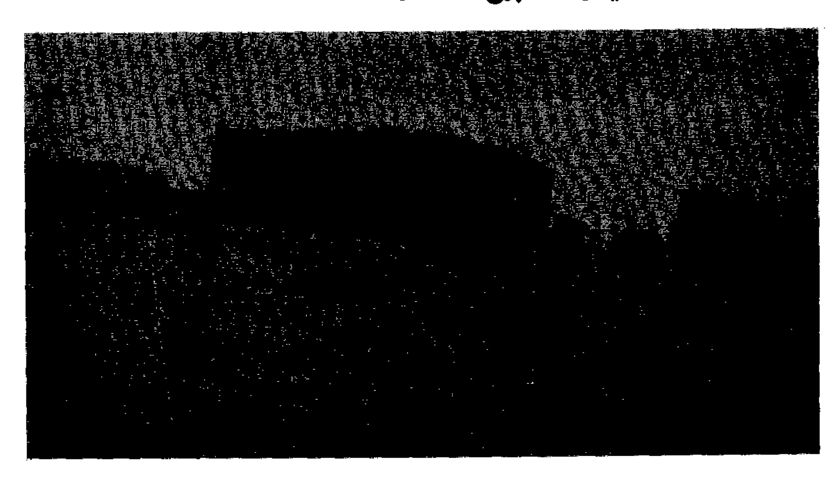
---

(١) هي في الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٠ / ب : « ياأُم متمم » .

(٢) وعيَّرهم مجاعة وسبَّهم وقـال : تركتم الرّجـال وجئتم إلى امرأة تقتلـونهـا ؟ عليكم بـالرّجـال ، فانصرفوا . الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٠ / ب .



يمثل هذا البرج ركناً من أركان سور مسيلمة



☆ «خندق الدم» غرب الحديقة، وهو الآن غرب بلدة (الجبيلة) التي قامت في الجزء الغربي من الحديقة، وقبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه في هذا المكان

ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف سَاقَيْـه ، وهو حـامل لواء الأنصار بعد مـا تحنَّـط وتكفَّن ، فلم يزل ثـابتـاً حتى استشهـد رضي الله عنه[1] .

وقـال المهـاجرون لسـالم مـولى أبي حـذيفــة : أتخشى أن نُـؤْتى مِنْ قِبَلَك ؟ فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً . وقال زيـد بن الخطـاب : أيها الناس ، عضُّوا على أضراسكم ، واضربوا في عدوِّكم ، وامضوا قُـدُمـاً ، وقـال : والله لا أتكلَّم حتى يهـزمهم الله ، أو ألقى الله فـأُكلمـه بحجتي ، فقتل شهيداً رضي الله عنه .

سَيْفُ اللهِ بَيْنَ ٱلصَّفَّيْنِ « خَنْدَقُ الدَّمِ » :

وحمـل خـالـد بن الـوليـد رضي الله عنــه حتى اخترق صفـوف المرتـدين ، ووصـل قُبَـالــة مسيلمــة ، وجعـل يترقَّب أن يصـل إليــه فيقتله ، ثم رجع ، ثم وقف بين الصَّفَّيْن ودعا للمبارزة ، وقال :

أنا ابنُ الوليد العَوْد   أنا ابن عامر وزَيْـد

ثم نادى بشِعار المسلمين ، وكان شعارهم يومئذ : يا محمَّـداه ، وجعل لا يبرز إليـه أحـد من المرتـدين إلاَّ قتلـه ، ولا يـدنـو منـه شيء إلا

(١) ثـابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مـالـك بن امرئ القيس ، ستمر ترجمـة مفصَّلـة في الصفحات القادمة .

صرعه[1] ، وبالمناسبة : أمر طبيعي ألاّ يُقتل خالد في كل المعارك التي خاضها ، مع أنَّه كان يخوض غمارها بنفسه ، ويباشر القتال بذاته ، وأمر طبيعي أن يموت على فراشه ، مع أن جراحاته التي كانت في جسمه كانت كافية لقتله لو لم يكن سيف الله ، فسيف الله لا يغمده بشر ، ولا يقتله أُناس ، وإلا لقيل قتلَ فلانٌ سيفَ الله ، وبذلك يكون فلان هذا أقوى من سيف الله ، وهذا لا يكون ! ؟ ؟

واقترب خالد رضي الله عنه من مسيلمة ، وعرض عليه النَّصَف ، والرجوع إلى الحق ، فأبى ، فانصرف عنه خالد ، وعزل الأعرابَ عن المهاجرين والأنصار[2] ، وجعل كل قبيلة على رايتها يقاتلون تحتها ، حتى يعرف الناس من أين يُؤتون ، وصبرت الصحابة في هذا الموطن

---

(1) الطبري : جـ ٣ ص ٢٩٣ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٤ ، وخطة خالد هجوم ، هجوم ..وعدم تمكين مسيلمة من الانتقال من الدفاع إلى الهجوم ، وحرمان مسيلمة من المناورة .

(2) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١١ / ب ، وجاء في الطبري : جـ ٣ ص ٢٩٢ : امتازوا كي نَسْتَحيا من الفرار اليوم ، فسترون إذا امتزنا من أين يجيء الخلل (وهذا تغيير في استراتيجية المعركة لتحديد المسؤولية من جهة ولدفع الناس للقتال بمنتهى الشجاعة خشية العار من جهة أخرى) ، فامتازوا ، فما رُئِيَ يوم كان أحد ولا أعظم نكايةً مما رُئي يومئذ ، ولم يُدْرَ أي الفريقين ـ المهاجرون والأنصار من جهة والأعراب من جهة ثانية ـ كان أشد فيهم نكاية ، إلا أن المصيبة كانت في المهاجرين والأنصار أكثر منها في أهل البادية ، ولكثرة الدماء التي سُكِبت سُمّي هذا الهجوم ، وهو الهجوم الثاني ، هجوم : « خندق الدم » .

صبراً لم يعهد مثله ، ولم يزالوا يتقدَّمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم ، وولى المرتدون الأدبار .

اللَّحَظاتُ الحاسِمَةُ

فِي حَدِيقَة المَوتِ :

تبع المسلمون المرتدين يقتلون منهم وهم مدبرون ، ويضعون السُّيوف في رقابهم حيث شاؤوا ، حتى ألجَؤُوهم إلى حديقة الموت ، وقد أشار عليهم محكم بن الطفيل بدخولها ، فدخلوها وفيها مسيلمة ، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكَمَ بنَ الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله[1] . وقال قائل : ياأبا ثمامة ، أين ما كنت وعدتنا ؟ فقال أبو ثمامة ـ أي مسيلمة ـ : أما الدين فلا دين ، ولكن قاتلوا عن أحسابكم ، فاستيقن القوم أنَّهم كانوا على غير شيء[2] .

وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم ، وأحاط بهم الصحابة .



---

(١) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٦ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٥ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٩٤ ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ١١ / ب .

(٢) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٣ / أ .

☆ أجزاء من سور مسيلمة وقد رَمَّمه أهل « الجبيلة »

البَرَاءُ بنُ مَالِك بن النضر الأَنْصارِي[1] :

وقـال البراء بن مـالـك : يـا معشر المسلمين ألقـوني عليهم في الحـديقـة ، فـاحتملوه فوق الجحف[2] ، ورفعـوهـا بـالرمـاح حتى ألقـوه عليهم ، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقة من البـاب الـذي فتحـه البراء ، وفتح الـذين دخلوا الأبواب الأُخرى ، وحوصر المرتدون وأدركوا أنها القاضية لا محالة ، وأن الحقّ جـاء ، فزهق باطلهم[3] .

☆ ☆ ☆

(١) البراء بن مالك بن النضر الأنصاري : أخو أنس بن مالك لأبيه وأمه ، وشهد أُحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدراً ، وكان شجاعاً مقداماً ، وكان عمر رضي الله عنه يكتب للجيوش : أن لاتستعملوا البراء على جيش المسلمين ، فإنّه مهلكة من المهالك يقدم بهم ، للتوسع : أُسد الغابة : جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٢) الجحف : المراد بها هنا التُّروس ، وهنا يظهر افتقار المسلمين لأدوات الحصار في حروب الردّة .

(٣) جُرِح البراءُ يومئذ بضعاً وثمانين جراحة مابين رمية وضربة ، فأقام عليه خالد بن الوليد شهراً حتى برأ من جراحه ، قال رسول الله ﷺ : « رُبَّ أشعث أغبر لا يؤبه له ، لو أقسم على الله عز وجل لأبرّه ، منهم البراء بن مالك » . فلما كان يوم « تستر » من بلاد فارس ، انكشف الناس ، فقال له المسلمون : يابراء ، اقسم على ربك ، فقال : أقسم عليك يارب لَمَّا منحتنا أكتافهم ، وألحقتني بنبيّك ، فحمل وحمل الناس معه ، فانهزم الفرس واستشهد ، قتله الهرمزان ، أُسد الغابة : جـ ١ ص ٢٠٦ .

صورة عن الواجب لا تُنْسى ، إنَّها صورة :

«أبو عقيل : عبد الرحمن بن عبد الله البلوي الأنصاري الأوسي» .

وكان أبو عقيل من أوَّل من جُرِح يوم اليمامة ، رُمِيَ بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده ، فجرح في غير مقتل ، فأُخرج السَّهم ، ووهن شِقُّه الأيسر ، فأُخذ إلى معسكر المسلمين ، فلما حمي القتال ، وتراجع المسلمون إلى رحالهم ومعسكرهم ، وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي يصيح : ياللأنصار ، الله الله والكرة على عدوِّكم ،وتقدَّم معنُ القومَ . ونهض أبو عقيل يريد قومه ، فقال له بعض المسلمين : ياأبا عقيل ، ما فيك قتال ، قال : قد نوَّه المنادي باسمي ، فقيل له : إنما يقول ياللأنصار لا يعني الجرحى ، فقال أبو عقيل : فأنا من الأنصار ، وأنا أُجيب ولو حَبْواً ، فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السَّيف بيده اليمنى مجرّداً ، ثم جعل ينادي : ياللأنصار ، كَرَّة كيوم حُنين ، فاجتمعوا جميعاً ، وتقدموا بروح معنويَّة عالية يطلبون الشهادة أو النصر ، حتى أقحموا عدوَّهم الحديقة ، وفي هذا الهجوم قطعت يد أبي عقيل من المنكب ، ووُجِدَ به أربعة عشر جُرْحاً كلها قد خَلَصَت إلى مقتل ، ومرَّ ابن عمر بأبي عقيل وهو صريع بآخر رمق ، فقال : ياأبا عقيل ،

فقال : لبيك ، بلسان ثقيل ، ثم قال : لمن الدَّبَرَة ، فقال ابن عمر : أبشر ، قد قُتِلَ عدوٌّ الله ، فرفع أبو عقيل اصبعه إلى السَّماء بحمد الله .

قال عنه عمر رضي الله عنه : رحمه الله ، ما زال ينال الشهادة ويطلبها ، وإنَّه لمن خيار أصحاب نبيِّنا[1] .

مَصْرَعُ ٱلكَذَّاب :

وصل المسلمون في الحديقة إلى مسيلمة ، وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنَّه جمل أورق ، يخرج الزَّبدُ من شدقيه من غيظه وحرج موقفه وانهيار بنيان زعامته التي قامت على العصبيَّة القبليَّة ، فتقدم وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم - قاتل الحمزة رضي الله عنه - فرماه بحربته فأصابه ، وخرجت من الجانب الآخر ، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسَّيف فسقط ، فنادت امرأة من قصر مسيلمة : وا أمير الوضاءة ، قتله العبد الأسود (أي وحشي) .

يقول وحشي : فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذَّاب صاحب اليمامة ، خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس ، رأيت مسيلمة الكذَّاب قائماً في يده السيف وما أعرفه ، فتهيَّأت له ، وتهيَّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأُخرى ، كلانا

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٣ / ب .

يريـده ، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منهـا دفعتهـا عليـه ، فوقعت فيه . وشد عليه الأنصاري ـ عبد الله بن زيد ـ[1] بالسَّيف ، فربُّك أعلم أيُّنا قتله ، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد قتلت شرَّ الناس[2] .

جاء في « الاكتفاء » عن أبي سعيد الخدري قال : دخلت الحديقـة حين جاء وقت الظهر ، واستمر القتال ، فـأمر خـالـد بن الوليـد المؤذن فأذَّن على جـدار الحـديقـة بـالظهر ، والقوم يضطربون على القتل حتى انقطعت الحرب بعد العصر ، فصلَّى بنا خـالـد الظهر والعصر ، ثم بعث السُّقـاة يطـوفـون على القتلى ، فطفت معهم ، فمررت بـأبي عقيـل الأنصاري البدري وبه خمسة عشر جُرحاً ، فاستسقاني فسقيتـه ، فخرج الماء من جراحاته كلها ومات رحمه الله .

خُدْعَةُ مَجَاعَة :

خرج خالد بعد انتصار المسلمين ، وتبعـه مجـاعـة بن مرارة يرسف في قيوده ، فجعل يريه القتلى ليعرِّفه بمسيلمة ، فلما مرُّوا بـالرَّجـال بن

---

(١) قـال أبو الحويرث : مـارأيت أحـداً يشـك أن عبـد الله بن زيـد الأنصـاري ضرب مسيلـمة ، وزرقه وحشي فقتلاه جميعاً ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٣ / أ .

(٢) الاكتفاء : جـ ١ ص ١٠١ / أ ، الروض الأُنف : جـ ٣ ص ١٦٣ ، ابن هشام : جـ ٣ ص ٢٢ ، البـدايـة والنهـايــة : جـ ٤ ص ١٨ ، السِّيرة النبـويَّـة لابن كثير : جـ ٣ ص ٣٧ ، الطبري : جـ ٢ ص ٥١٦ ، السِّيرة الحلبيَّة :جـ ٢ ص ٢٦٣ .

عُنْفُوَة قال له خالد : أهذا هو ؟ قال : لا ، والله هـذا خير منـه ، هـذا الرَّجَال بن عنفوَة ، ثم مرُّوا برجل أصفر أخنس ، فقـال مجـاعـة : هـذا صاحبكم ، فقال خالد : قبَّحكم الله على اتباعكم هذا .

ثم بعث خالد رضي الله عنه الخيول حول اليمامة يلتقطون مـا حول حصونها من مـال وسبي ، ثم عزم على غزو الحصون ، ولم يكن بقي فيهـا إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار ، فخدعه مجاعة فقـال : إنهـا ملأى رجالاً مقاتلة فهلم فصالحني عنها ، فصالحه خـالـد لمـا رأى بـالمسلمين من الجهد وقـد كَلُّوا من كثرة الحروب والقتـال ، فقـال : دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح ، فقال : اذهب ، فسار إليهم مجاعة ، فـأمر النساء أن يلبسن الحديد ، ويبرزن على رؤوس الحصون ، فنظر خالـد فإذا الشُّرُفات ممتلئة من رؤوس الناس ، فظنهم كما قال مجاعة ، فـانتظر الصلح ، ودعـاهم خـالـد إلى الإسلام فـأسلموا عن آخرهم ، ورجعـوا إلى الحـق ، وردّ عليهم خـالـد بعض مـا كان من السَّبي ، وسـاق البـاقين إلى الصّدّيق[1] .

بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَخَالِدٍ :

وأرسل أبو بكر سلمـةَ بنَ وقش إلى خـالـد إن أظفره الله أن يقتل

---

(١) وتسرّى علي بن أبي طالب بجارية منهم ، وهي أمُّ ابنـه محمد ، الـذي يقـال لـه : محمـد بن الحنفيّة .

من جرت عليه الموسى[1] من بني حنيفة ، فوجده قد صالحهم ، فأتم خالد عقده معهم ، ووفى لهم[2] .

وكان أبو بكر يستروح الخبر من اليمامة ، وينتظر رسولَ خالد ، فخرج يوماً بالعشي ، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار ، إلى ظهر الحرَّة ، فلقي أبا خيثمة النجّاري قد أرسله خالد ، فلما رآه أبو بكر قال له : ماوراءك ياأبا خيثمة ؟ قال : خير ياخليفة رسول الله ، قد فتح الله علينا اليمامة ، وهذا كتاب خالد ، فسجد الصِّدّيق شكراً لله ، وقال أخبرني عن الوقعة كيف كانت ؟ فجعل أبو خيثمة يخبره كيف صنع خالد ، وكيف صفَّ أصحابه ، ومن استشهد من الصحابة ، وقال أبو خيثمة : ياخليفة رسول الله ، أُتينا من قبل الأعراب ، انهزموا بنا ، وعوَّدونا مالم نكن نُحْسِن[3] .

وكتب أبو بكر إلى خالد مع سلمة بن سلامة : ياخالد بن أُمِّ خالد ، إنك لفارغ تنكح النِّساء وتعرس بهن ، وببابك دماء ألف ومئتين من المسلمين لم تجف بعد ، ثم خدعك مجاعة عن رأيك فصالحك عن قومه وقد أمكن الله منهم[4] .

---

(١) أي بلغ الحلم .

(٢) ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٦ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٧ .

(٣) بعد وقعة اليمامة أمر أبو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم ، لما رأى من كثرة من قُتِل من الصحابة ، لئلا يذهب القرآن بذهاب حفظته .

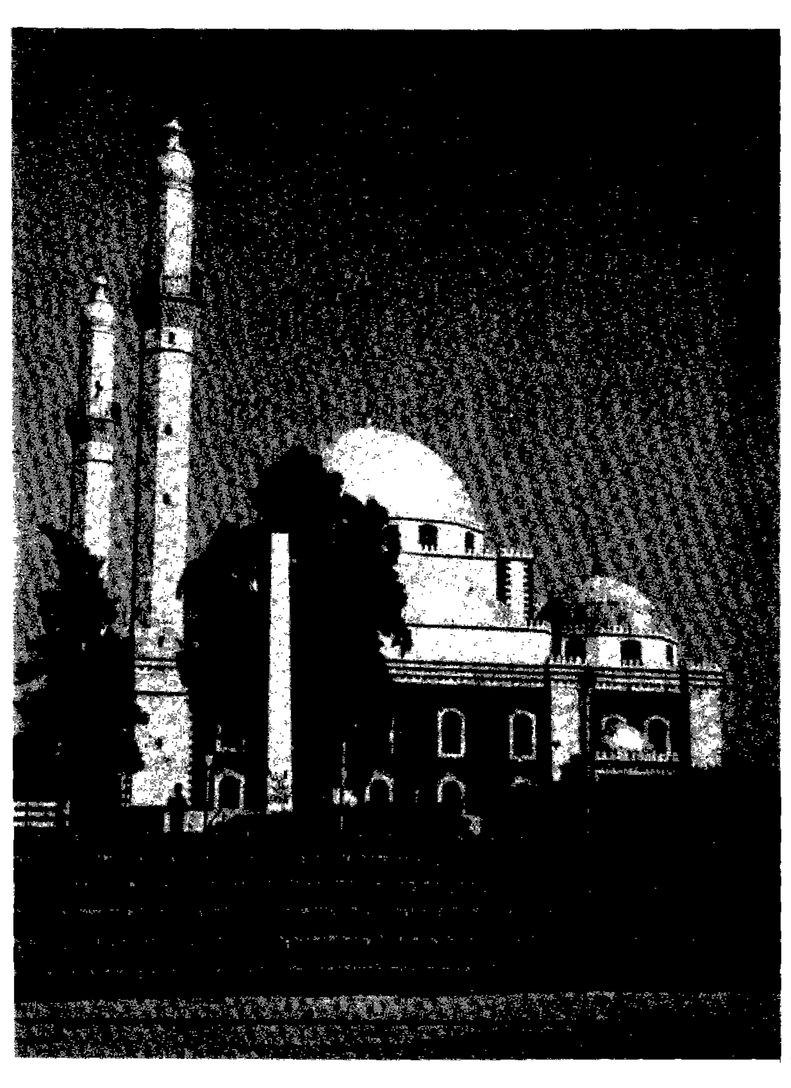
(٤) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٤ / ب .

وكتب خالد إلى أبي بكر جواب كتابه مع أبي برزة الأسلمي : أما بعد ، فلعمري ما تزوجت النساء حتى تمَّ لي السرور وقرَّت بي الدار ، وما تزوَّجت إلاّ إلى امرئ لو أعملت إليه من المدينة خاطباً لم يردَّني ، إني استشرت خطبتي إليه من تحت قدمي ، فإن كنت كرهت لي ذلك لدين أو دنيا اعتبتك ، وأما حسن عزائي على قتلى المسلمين ، فوالله لو كان الحزن يبقي حَيّاً أو يرد مَيِّتاً ، لأبقى حزني الحيَّ ، وردَّ الميت ، ولقد أقحمت في طلب الشهادة حتى يئست من الحياة ، وأيقنت بالموت ، وأما خدعة مجاعة إياي عن رأي ، فإني لم أخُط رأي يومي ، ولم يكن لي علم بالغيب ، وقد صنع الله للمسلمين خيراً ، أورثهم الأرض وجعل لهم عاقبة المتقين .

فلما قدم الكتاب على أبي بكر رضي الله عنه رقَّ بعض الرقة ، وقام رهط من قريش فيهم أبو برزة الأسلمي ، فعذروا خالداً ، وقال أبو برزة : يا خليفة رسول الله ما يوصف خالد بجبن ولا خيانة ، ولقد أقحم في طلب الشهادة حتى أُعذر ، وصبر حتى ظفر ، وما صالح القوم إلا على رضاه ، وما أخطأ رأيُهُ بصلح القوم ، إذ هو لا يرى النساء في الحصون إلاَّ رجالاً ، فقال أبو بكر : صدقت ، لكلامك هذا أوْلى بعذر خالد من كتابه إليّ[1] .

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٥ / أ .



☆ مسجد خالد بن الوليد رضي الله عنه في مدينة حمص، وفيه ضريحه

وكتب خالد لأبي بكر رضي الله عنه بعد الصلح أيضاً : بسم الله الرحمن الرحيم ، لأبي بكر خليفة رسول الله ، من خالد بن الوليد ، أما بعد فإني أُقسم بالله إني لم أصالحهم حتى قَبِلَ من كُنْتُ أقوى به ، وحتى عجف الكراع[1] ، وهلك الخف ، ونهك المسلمون بالقتلة والجراح ، حتى إني لأفعل أُموراً أرى أني فيها مغرر ، أُباشر القتال بنفسي حتى ضعف المسلمون ونُهِكُوا ، حتى إن كنت لأتنكَّر ، ثم أدخل بسيفي فَرَقاً على المسلمين ، حتى جاء الله بالظفر ، فله الحمد . فسرَّ أبو بكر بذلك[2] .



وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ إلى ٱلصِّدِّيق :

قدم وفد اليمامة ، سبعة عشر رجلاً من بني حنيفة ، فيهم مُجاعة بن مرارة وإخوته ، وحبسهم أبو بكر رضي الله عنه ، ولم يدخلهم عليه ، ونادى منادي أبي بكر في المدينة أن لا يؤويهم أحَد ، ولا يبايعهم ولا ينزلهم ولا يكلِّمهم أحد ، وبقوا في المدينة لا يُكَلَّمون ولا يُبَايَعُون ، فضاقت عليهم ، فقيل لهم : ايتوا عمر ، فجاؤوه ،

---

(١) الكراع : ذوات الحافر ، وقد يستعمل الكراع أيضاً للإبل .

(٢) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٥ / أ ، وقتل من المرتدين : ٧٠٠٠ في سهل عقرباء ، و ٧٠٠٠ في حديقة الموت ، و ٧٠٠٠ في عمليات التطهير والتنشيط والمطاردة .

فوجدوه يحلب شاةً على رغيف في صفحة[1] ومعه عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وابنة زيد بن الخطاب ، فرجوه أن يكلِّم أبا بكر أن يأذن لهم فيدخلهم ، أو يأذن لهم في الرجوع إلى بلادهم .

وقال مجاعة : من هذان الغُلاَمان ؟ فقال عمر رضي الله عنه : هذان ٱبنا زيد بن الخطاب رحمه الله ، يقول مجاعة : فوجمنا لأنّا قتلنا زيداً ، ثم قال عمر : أفيكم قاتل زيد ؟ وسأل الوفد : ما تريد منه ؟ قال : أفيكم قاتل زيد ؟ فقام أبو مريم فقال : أنا قاتل زيد ، قال عمر : وكيف قتلته ؟ قال : اضطربتُ أنا وهو بالسَّيفين حتى انقطعا ، ثم ٱطَّعنا بالرُمْحَين حتى انكسرا ، ثم اصطرعنا فشحطته بالسكين شحطاً[2] . ووجم القوم ، فقال عمر : مالكم قد سكتُّم ؟ هذا أمر قد ذهب ، حاجتُكُم ؟ ! قالوا : احتُبِسْنَا ولا نقدر على الدخول على أبي بكر ، ولا الراح إلى بلادنا ، فقال عمر : عليكم عهد الله وكفالته أن تُناصحوا الإسلام وأهله ؟ قالوا : نعم ، قال : ارجعوا حتى تأتوني هذه الساعة من غد فأُوصلكم إلى أبي بكر[3] .

فلما كان ذلك الوقت من الغد جاؤوه ، فخرج معهم حتى أُوصلهم

---

(١) صَفِيحة : وجه كل شيء عريض ، لسان العرب : جـ ٢ ص ٥١٣ .

(٢) شَحَطَه : ذبحه ذبحاً ، لسان العرب : جـ ٧ ص ٣٢٧ .

(٣) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٥ / ب .

إلى أبي بكر ، فعنَّفهم أبو بكر رضي الله عنه كيف اتَّبَعوا مسيلمة وكيف خدعوا به . وذكَّر مُجاعةَ بخداعِهِ خالداً ، فقال مجاعة : الذي صنع الله لك ولخالد خير ، يفيء الله بهم - ببني حنيفة - إلى الإسلام .

وقال الصِّدِّيق رضي الله عنه لهم : أَسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة ، فقالوا : أَوَ تعفينا يا خليفة رسول الله ؟ فقال : لا بُدَّ من ذلك ، فقالوا : كان يقول : يا ضِفْدَعُ بنتُ ضِفْدَعين ، لحسن ما تنقنقين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدِّرين ، امكثي في الأرض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يعتدون[1] .

وكان يقول : والمبذِّرات زَرْعاً ، والحاصدات حَصْداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خُبْزاً ، والثاردات ثرداً[2] ، واللاقمات لقماً ، إهالة وسمناً .

وقال : لقد فُضِّلتم على أهل الوَبَر ، وما سبقكم أَهل المَدَر[3] ، رفيقكم[4]

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٦/أ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٤ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٦ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٨٤ .

(٢) ثرد الخبز ثرداً : فتّه ثم بلّه بمرق .

(٣) أهل الوبر : أهل الريف ، وأهل المدر : سكان المدن ، الحضر .

(٤) في الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٤ : ريفكم : أي امنعوا ريفكم لئلا يغلب عليه غالب .

فامنعوه ، والمعترَّ[1] فآووه ، والناعي فواسوه[2] .

وكان يقول : والفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم طويل .

وقال : والليل الدَّامس ، والذئب الهامس[3] ، ما قطعت أَسَيِّدٌ من رَطْب ولا يابس .

فاسترجع أبو بكر رضي الله عنه ثم قال : ويحكم ، أي كلام هذا ؟

ومما يذكر : أن عَمْرو بن العاص وفد إلى مسيلمة ، فقال له مسيلمة : ماذا أُنْزِلَ على صاحبكم في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أُنْزِل عليه سورة وجيزة بليغة ، فقال : وما هي ؟ قال عمرو : أنزل عليه : ﴿ وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ .. ﴾ السُّورة ، ففكَّر مسيلمة ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : ولقد أُنْزِلَ عليَّ مثلها ، فقال له عمرو : وما هي ؟ فقال مسيلمة : يا وبر يا وبر ، إنما أنت إيراد وصدر ، وسائرك حفر نقر . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إِنَّكَ لتعلم أني أَعلم أنك تكذِّب[4] .

---

(١) رجل مُعَتَّر : غليظٌ كثير اللحم .

(٢) وفي الطبري : جـ ٣ ص ٢٨٤ : والباغي فناوئوه .

(٣) الذئب الهامس : الشديد . وفي الطبري جـ ٣ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ نماذج أُخرى من سجعه ، مثل : والشاء وألوانها ، وأعجبُها السود وألبانها ، والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، إنه لعجب مَحْض ، وقد حرِّم المذق ، فما لكم لا تمجّعون ! (والمَجْعُ : أكل التمر باللبن معاً ، وقيل هو أن يأكل التمر ويشرب عليه اللبن ، لسان العرب : جـ ٨ ص ٣٣٣) .

(٤) حتى مؤذن مسيلمة حجير بن نمير كان يقول : أشهد أن مسيلمة يظن أنَّه رسول الله ، البلاذري ، فتوح البلدان : ص ١٠٠ .

وعن عمير بن طلحة النمري عن أبيه أنه جاء إلى اليمامة ، فقال : أين مسيلمة ؟ فقالوا : مَنْ ، رسول الله ؟ فقال : لا حتى أراه ، فلما جاء قال : أنت مسيلمة ؟ فقال : نعم ، قال : من يأتيك ؟ قال : رجس ، قال : أفي نور أم في ظلمة ؟ فقال : في ظلمة ، فقال : أشهد أنك كذّاب وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر ، واتَّبعه هذا الأعرابي الجلف حتى قتل معه يوم عقرباء[1] .

☆ ☆ ☆

مِنْ « كَرَامَاتِ » مُسَيْلَمَة « النتائج العكسية » :

☆ جاءته امرأة من بني حنيفة تكنّى بأُم هيثم ، فقالت : إنَّ نخلنا لسُحُق[2] ، وإن آبارَنا لجُرُز[3] ، فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمد لأهل هَزْمان ، فقال : يا نهار ـ الرجال بن عنفوة ـ ما تقول هذه ؟ فقال : إنَّ أهل هَزْمان أتوْا محمداً ـ ﷺ ـ فشكَوْا بُعْد مائهم ، وكانت آبارهم جُرزاً ، ونخلهم أنَّها سُحُق ، فدعا لهم فجاشت آبارهم ، وانْحَنَتْ كلُّ نخلة قد انتهت حتى وضعت جِرانها لانتهائها ، فحكَّت به الأرض

---

(١) الطبري : جـ ٣ ص ٢٨٦ .

(٢) سحق : جمع سحوق ، وهي الطويلة من النخل .

(٣) الجرز : الأرض المجدبة .

حتى أَنْشَبَتْ[1] عروقاً ثم قُطِعت من دون ذلك ، فعادت فسيلاً[2] مكمّاً ينمى صاعداً . قال مسيلمة : وكيف صنع بالآبار ؟ قال نهار : دعا بِسَجْل[3] ، فدعا لهم فيه ، ثم تمضمضَ بفمه منه ، ثم مَجَّهُ فيه ، فانطلقوا به حتى فرَّغوه في تلك الآبار ، ثم سَقَوْه نخلهم ، ففعل النبي ما حَدَّثتك . فدعا مسيلمة بدلْوٍ من ماء فدعا لهم فيه ، ثم تمضمض منه ، ثم مجَّ فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم ، فغارت مياه تلك الآبار ، وخَوَى نخلُهم .

☆ وقال له نهار : بَرِّك على مولودي بني حنيفة ، فقال مسيلمة : وما التبريك ؟ قال : كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمداً - ﷺ - فحنّكه ومسح رأسه ، فلم يُؤْتَ مسيلمة بصبيّ فحنّكه ومسح رأسه إلاّ قَرِع[4] ولَثِغْ[5] .

☆ وقالوا له : تَتَبَّعْ حيطانهم[6] كما كان محمد - ﷺ - يصنع فَصَلِّ فيها ، فدخل حائطاً من حوائط اليمامة ، فتوضّأ ، فقال نهار لصاحب الحائط : ما يمنعك من وَضُوء الرحمن فتسقِيَ به حائطَك حتى يَرْوَى

---

(١) نَشِبَ الشيءُ في الشيء نَشَباً ونُشوباً : أي عَلِقَ فيه ، لسان العرب : جـ ١ ص ٧٥٧ .
(٢) الفسيل : صغار النخل ، وجمعه : فسلان .
(٣) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثر ، ولا يقال لها سجل إذا كانت فارغة .
(٤) القرع : ذهاب الشعر عن مقدَّم الرأس ، كالصلع ، أو أشد منه .
(٥) اللثغ : تحول اللسان من السين إلى الثاء ، أو من الراء إلى الغين .
(٦) حيطانهم : بساتينهم .

ويبتل ، كما صنع بنو المهريَّة ، أهل بيت من بني حنيفة ، وكان رجل منهم قد قدم على النبي ﷺ فأخذ وَضُوءَه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه في بئره ، ثم نزع وسقى ، وكانت أرضه تَهُوم فرويت وجَزَأت[1] فلم تُلْفَ إلا خضراء مهتزَّة ، ففعل مسيلمة ما قاله الناس له تقليداً ومحاكاة ، فعادت حيطان بني حنيفة التي سقاها من ماء وضوئه يباباً لا ينبت مرعاها .

☆ وأتاه رجل فقال : ادعُ الله لأرضي فإنَّها مُسْبِخَةٌ ، كما دعا محمد - ﷺ - لسُلَمِيّ على أرضه . فقال : ما يقول يا نهار ؟ فقال : قدم عليه سُلَمِيّ ، وكانت أرضه سبخة فدعا له ، وأعطاه سَجْلاً من ماء ، ومجَّ له فيه ، فأفرغه في بئره ، ثم نزع ، فطابت وعَذُبَتْ ، ففعل مثل ذلك فانطلق الرَّجُل ، ففعل بالسَّجْل كما فعل السُّلَمي ، فغرقت أرضه ، فما جفّ ثراها ، ولا أدرك ثمرها .

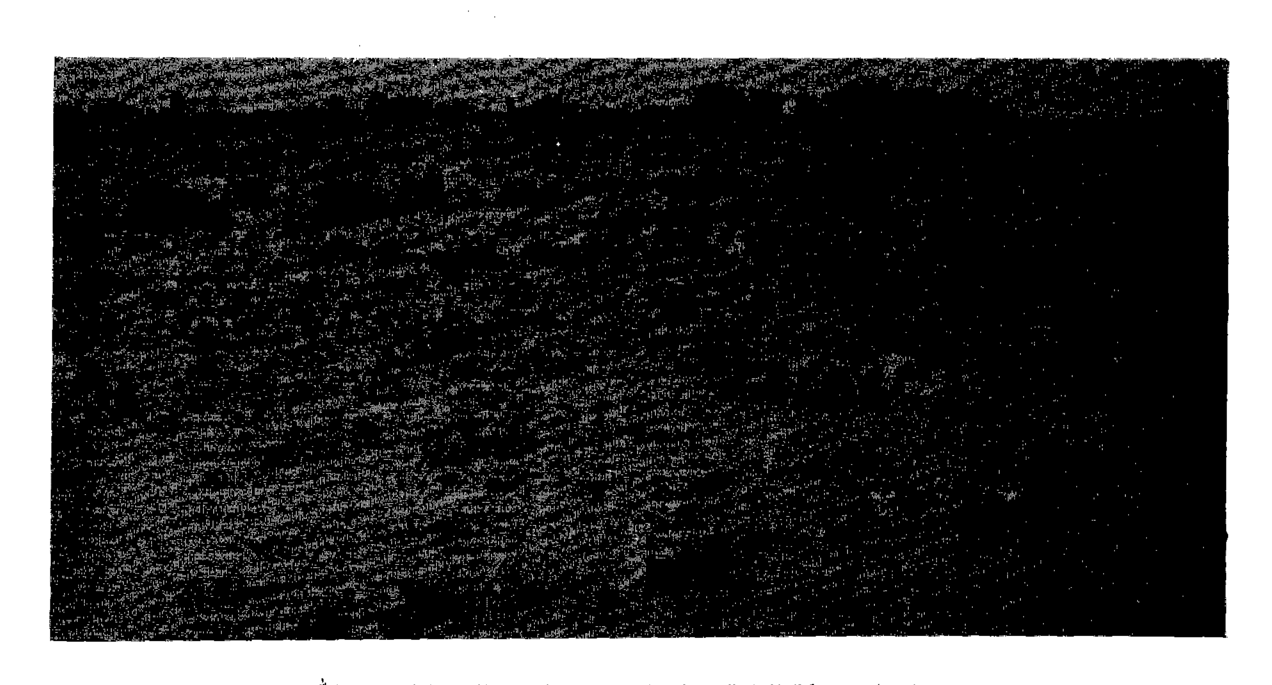
☆ وأتته امرأة فاستجلبته إلى نَخْل لها يدعو لها فيها ، فجزّت كبائسها[2] يوم عَقْرَباء كلَّها ، وكانوا قد علموا واستبان لهم كذبه ودجله ، وكيف جاءت النتائج معاكسة ، ولكن الشَّقاءَ - والعصبيَّة القبليَّة - غلب عليهم[3] .

☆ ☆ ☆

(1) الوضوء : بالفتح : الماء يتوضأ به ، والهوماة : الفلاة ، وجَزَأت : بمعنى اكتفت .

(2) الكبائس : جمع كباسة ، وهي العذق التام بشماريخه وبسره .

(3) هذه « الكرامات » ذات النتائج المعاكسة في : الطبري : جـ ٣ ص ٢٨٤ وما بعدها .



☆ مقبرة شهداء معركة اليمامة، وفيها عدد من قبور الصحابة رضي الله عنهم

مِنْ شُهَدَاءِ المُسْلِمِينَ في اليَمَامَةِ[1] :

☆ (من قريش ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف) : **أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس** : من السابقين إلى الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، كان من فضلاء الصحابة ، جمع الله له الشرف والفضل ، وكان دخوله في الإسلام قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرْقم ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، استشهد يوم اليامة وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة[2] .

وسالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة[3] : وقد مرَّت ترجمته قبيل صفحات ، وقد بعث عمر رضي الله عنه بميراثه إلى مولاته التي أعتقته ، فردَّته ، وقالت : إنما أعتقته سائبة[4] ، فجعله عمر في بيت المال .

---

(١) نوردهم هنا كا ذكرهم خليفة بن خياط ، وهو ثقة ، أحد المحدثين الكبار ، حدَّث عنه عمرو بن منصور ، ووكيع بن الجراح ، وذكر البخاري أن مُسْلِماً حدَّث عنه ، ولعله مسلم بن إبراهيم الفراهيدي البصري أحد شيوخ البخاري ، قيل بحقه : « خليفة بن خياط ثقة » ، نوردهم هنا بعد الرجوع إلى أسد الغابة للتوسع ، وكتاب خليفة بن خياط اسمه : تاريخ خليفة بن خياط ، مطبوع محقَّق ، طبعة دار القلم ، راجع ص ١١١ وحتى ١١٥ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة : جـ ٦ ص ٧٠ .

(٣) أسد الغابة : جـ ٢ ص ٣٠٧ .

(٤) إذا أُعْتِقَ العبدُ سائبة فلا يكون ولاؤه لمعتقه ، ولا ورثه له .

☆ (من بني أسد بن خزيمة) : **شُجَاع بن وَهْب بن ربيعة**[1] : أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، هو وأخوه عقبة بن أبي وَهْب ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وأرسله رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّاني ، وإلى جبلة بن الأيهم . استشهد رضي الله عنه يوم اليمامة وهو ابن بضع وأربعين سنة .

☆ (من بني سُلَيم) : **صفوان بن أُميَّة بن عمرو**[2] : حليف بني أسد بن خزيمة ، اختلف في شهوده بدراً ، **وأخوه : مالك بن أُميَّة بن عمرو**[3] : شهد بدراً ، واستشهد مع أخيه في اليمامة .

☆ (من حضرموت) : **مَخْرَمَة بن شريح**[4] : ـ حليف لبني عبد شمس ـ ذُكِر عند رسول الله ﷺ فقال : « ذاكَ رجلٌ لا يتوسَّدُ القرآن[5] » . **وطُفَيْل بن عمرو الدوسي**[6] : أسلم قديماً قبل

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٥٠٥ (وهو حليف لبني عبد شمس ، ويكنّى أبا وهب) .

(٢) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٢٥ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ٥ ص ١٠ .

(٤) أُسد الغابة : جـ ٥ ص ١٢٤ .

(٥) يحتمل أن يكون مدحاً وذماً ، فالمدح معناه : أنه لا ينام الليل عن القرآن ، يتهجَّد به ، فيكون القرآن متوسداً معه ، بل هو يداوم قراءته ويحافظ عليها ، والذم معناه : لا يحفظ من القرآن شيئاً ولا يديم قراءته ، فإذا نام لم يتوسد معه القرآن ، وأراد بالتوسد النوم .

(٦) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٧٨ .

الهجرة ، وذهب إلى قومه فدعاهم إلى الله ، فهداهم الله على يديه ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة جاءه بتسعين من قومه مسلمين ، رأى الطفيل في المنام كأن رأسه قد حُلِق ، وكأن امرأته أدخلته بطنها ، ورأى أن ابنه يجتهد أن يلحقه فلم يصل ، فأَوَّلها بأنه سيستشهد ويدفن ، وأن ابنه يحرص على الشهادة فلا ينالها عامه ذلك ، وقد وقع الأمر كما توقَّع ، فاستشهد هو باليمامة ، واستشهد ابنه يوم اليرموك .

والحكم بن سعيد بن العاص[1] : قدم على رسول الله ﷺ مهاجراً ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : الحكم ، قال ﷺ : أنت عبد الله ، قال : أنا عبد الله يا رسول الله .

☆ (من بني المطلب) : **جبير بن مالك**[2] : وهو جُبَيْر بن بُحَيْنة ، وهي أُمَّه ، له صحبة ، وهو حليف بني المطلب ، وهو أزدي .

☆ (من بني أَسَد بن عبد العُزَّى) : **السَّائِبُ بن العَوَّام بن خويلد** (أخو الزبير بن العوام)[3] : أُمه صَفِيَّة عمة رسول الله ﷺ ، شهد أُحداً والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، واستشهد يوم اليمامة .

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٣٥ : واختلف في وفاته : يوم بدر ، أم يوم مؤتة ، وقيل يوم اليمامة .

(٢) أُسد الغابة : جـ ١ ص ٣٢٢ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٣١٨ .

☆ (من بني عبد الدار) : **يزيد بن أوس**[1] : أَسلم يوم فتح مكة .

☆ (من بني زهرة) : **حُيَيْ بن حارثة الثقفي**[2] : أَسلم يوم الفتح ، **وحبيب بن أَسِيد بن جارية الثقفي**[3] ، وهو أخو أبي بصير عتبة بن أَسِيد .

☆ (من بني مخزوم) : **الوليد بن عبد شمس بن المغيرة**[4] : من أشراف قريش ، وهو زوج أسماء بنت أبي جهل ، أَسلم يوم الفتح ، استشهد تحت لواء ابن عمه خالد بن الوليد بن المغيرة يوم اليمامة . **وحكيم بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ**[5] : أسلم مع أبيه عام الفتح ، واستشهد يوم اليمامة هو وأبوه حزن بن أبي وهب[6] ، **وحكيم بن أبي وهب** .

☆ (من بني عدي) : **زيد بن الخطاب**[7] : وهو أخو عمر بن

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٥ ص ٤٧٨ .

(٢) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٧٩ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ١ ص ٤٤١ .

(٤) أُسد الغابة : جـ ٥ ص ٤٥٠ .

(٥) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٤٦ .

(٦) قيل له هجرة ، وقيل أسلم عام الفتح ، وهو جد سعيد بن المسيب ، وقيل استشهد معه ابناه عبد الرحمن ووهب وابن ابنه حكيم بن وهب يوم اليمامة .

(٧) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٢٨٥ .

الخطاب لأبيه ، وكان زيد أكبر من عمر رضي الله عنهما ، أسلم قديماً ، وشهد بدراً وما بعدها ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معن بن عدي الأنصاري ، وقد قُتِلا يوم اليمامة . ولما عزم أبو بكر على المسير بنفسه لأهل الردة أراد أن يستخلف على الناس ، فدعا زيد بن الخطاب لذلك ، فقال زيد : يا خليفة رسول الله ، قد كنت أرجو أن أُرزق الشهادة مع رسول الله ﷺ فلم أُرزقها ، وأنا أرجو أن أُرزقها في هذا الوجه[1] . وقد كانت راية المهاجرين يوم اليمامة بيده ، فلم يزل يتقدَّم بها حتى استشهد ، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة ، وقتلَ زيدُ يومئذ الرجالَ بن عنفوة ، ثم استُشْهد على يد رجل يقال له أبو مريم الحنفي ، وقد أسلم بعد ذلك ، وقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، إن الله أكرم زيداً بيدي ، ولم يهني على يده[2] . وقال عمر لما بلغه مقتل زيد : سبقني إلى الحُسْنَيَين ، أسلم قبلي ، واستشهد قبلي . وقال عمر لابنه عبد الله وكان مع عمِّه في قتال مسيلمة : ألا هلكت قبل زيد ؟ هلك زيد وأنت حي ؟ ألا واريت وجهك عني ؟ فقال عبد الله : سأل اللهَ الشهادة فأُعطِيها ، وجهدتُ أن تُسَاقَ إليَّ فلم أُعْطَها[3] . وقال عمر لمتمم بن نويرة : لوددت أني رثيت أخي زيداً بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك ،

---

(1) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٤/أ .

(2) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٣٦ .

(3) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٧ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٩٢ .

فقال له متمم : يا أبا حفص ، والله لو علمتُ أنَّ أخي صار حيث صار أخوك ما رثيته ، فقال عمر : ماعَزَّاني أحد عن أخي مثل تعزيته[١] .

وعبد الله بن عمرو بن بُجْرة[٢] : أسلم يوم الفتح ، قال أبو معشر : هو من بيت من اليمن تبنّاه بُجْرة بن عبد الله بن قُرْط .

☆ (ومن بني ليث) : **عامر بن البُكَيْر**[٣] : شهد بدراً هو وإخوته : عاقل وخالد وإياس ، واستشهد عاقل ببدر .

☆ (من بني سهم) : **أبو قيس بن الحارث بن قيس**[٤] : من السابقين إلى الإسلام ، ومن المهاجرين إلى الحبشة ، وعاد منها فشهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد ، وقال ابن اسحاق : اسم أبي قيس بن الحارث : عبد الله .

☆ (من بني عامر بن لؤي) : **عبد الله بن مَخْرَمَة بن عبد العُزّى بن أبي قيس**[٥] : من السابقين إلى الإسلام ، هاجر إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٨/أ .
(٢) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٤٦ .
(٣) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ١١٨ .
(٤) أُسد الغابة : جـ ٦ ص ٢٥٨ .
(٥) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٧٩ .

وجميع المشاهد ، استشهد يوم اليمامة ، وهو ابن إحدى وأربعين سنة ، وكان يدعو الله عز وجل أن لا يميته حتى يرى في كل مفصل منه ضربة في سبيل الله ، فضرب يوم اليمامة في مفاصله واستشهد ، وكان فاضلاً عابداً . قال ابن عمر : ترافقت أنا وعبد الله بن مخرمة وسالم مولى أبي حذيفة عام اليمامة ، فكان الرعي على كل امرئٍ منا يوماً ، فلما كان يوم تواقعوا ، كان الرعي عَلَيَّ ، فأقبلتُ فوجدت عبد الله بن مخرمة صريعاً ، فوقفت عليه فقال : ياعبد الله بن عمر ، هل أَفطر الصائم ؟ قلت : نعم ، قال : فاجعل في هذا المِجَنّ ماءً لَعَلِّي أُفطر عليه ، ففعلت ، ثم رَجَعْتُ إليه فوجدته قد قَضَى رضي الله عنه . **وعبد الله بن سهيل بن عمرو**[1] : أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ثم استضعف بمكة ، فلما كان يوم بدر خرج مع قريش ، فلما تواجهوا فَرَّ إلى المسلمين فشهدها معهم ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وهو أحد الشهود في صلح الحديبية ، وهو أسن من أخيه أبي جندل ، وهو الذي أخذ الأمان لأبيه يوم الفتح ، استشهد يوم اليمامة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، فلما حجَّ أبو بكر عزّى أباه فيه ، فقال سهيل : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الشهيد يشفع لسبعين من أهله » ، فأرجو أن يبدأ بي . **وسَلِيط بن سَلِيط بن عمرو**[2] : قال ابن

---

(١) أسد الغابة : جـ ٣ ص ٢٧١ .

(٢) أسد الغابة : جـ ٢ ص ٤٣٩ .

إسحاق : قتل هناك ـ أي في اليمامة ـ وقيل عاش حتى أيام عمر ، لأن الزبير بن العَوَّام ذكره فيمن كساهم عمر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وفَضَلت عنده حلة ، فقال عمر : دلوني على فتىً هاجر وأبوه ، فقالوا : عبد الله بن عمر ، فقال : لا ، ولكن سَلِيط بن سليط ، فكساه إياها ، **وعمرو بن أبي أُويس بن سعد بن أبي سرح ، وربيعة بن أبي خرشة القرشي العامري**[1] : أسلم يوم الفتح .

☆ (من بني منقذ) : **أبو علي بن عبد الله بن الحارث بن رَحْضَة**[2] : من مسلمة الفتح .

☆ (واستشهد من الأنصار ثم من بني عبد الأشهل من الأوس) : **عبّاد بن بشر بن وقش**[3] : (أبو الربيع) ، أسلم في المدينة على يد مصعب بن عمير ، شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان مِمَّن قَتَلَ كعب بن الأشرف اليهودي ، كان من فضلاء الصحابة ، قالت عائشة رضي الله عنها : ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يَعْتَدُّ (أي يُحْصي) عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأُسَيد بن حُضَير ، وعَبَّاد بن بشر ، وسمع رسول الله ﷺ صوت عباد بن بشر ، فقال : « اللهم ارحم عباداً » ، استشهد يوم اليمامة وكان

---

(١) أسد الغابة : جـ ٢ ص ٢١٠ .

(٢) أُسد الغابة : جـ ٦ ص ٢٢٤ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ١٥٠ .

عمره خمساً وأربعين سنة . **وعبد الله بن عتيك**[1] : وهو أحد قتلةِ أبي رافع بن أبي الحُقَيقْ ، وأُصيب في رجلـه لضعف بصره ، واحتملـه أصحابه ، فلما وصل إلى رسول الله ﷺ مسح رجلـه ، قال عبد الله : فكأني لم أشْتَكِها قط ، ولما أقبلوا إلى رسول الله ﷺ كان يخطب ، فقال : « أفلحت الوجوه » ، قيل شهد بدراً ، ولم يختلف المؤرخون في أنه شهد أُحُداً ، وهناك شك في استشهاده في اليمامة ، لقول بعضهم : إن عبد الله شهد صِفِّين مع علي رضي الله عنه . **ورافع بن سهل بن رافع بن عدي**[2] : قيل : إنه شهد بدراً ، ولم يختلف أنَّه شهد أُحُداً وسائر المشاهد بعدها ، واستشهد يوم اليمامة . **وحاجب بن يزيد الأنصاري الأشهلي**[3] ، **وسهيل بن عَدِيّ الأَزدي**[4] ، **ومالك بن أوس**[5] **بن عتيك الأوسي الأنصاري** : شهد أُحُداً والخندق وما بعدهما من المشاهد ، وقتل هو وأخوه عمير يوم اليمامة شهيدين ، **وعمير بن أوس**[6] : شهد أُحداً والخندق وما بعدهما من المشاهد ، استشهد مع أخيه مالك يوم اليمامة .

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٠٦ .

(٢) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ١٩٣ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ١ ص ٣٧٧ .

(٤) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٤٧٩ .

(٥) أُسد الغابة : جـ ٥ ص ١٢ .

(٦) أُسد الغابة : جـ ٤ ص ٢٨٦ .

☆(ومن بني جَحْجَبا) : **طلحة بن عتبة الأنصاري الأوسي**[1] : شهد أُحُداً واستشهد يوم اليمامة ، وذكره موسى بن عقبة : طليحة مُصَغّراً . **ورباح مولى الحارث بن مالك**[2] : ممن شهد أُحداً .

☆(ومن بني أُنَيف) : **أبو عقيل**[3] ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله البَلَوِيّ الأنصاري الأوسي ، قال جعفر : أراه الذي قتل باليمامة .

☆(ومن بني العجلان) : **معن بن عَدِيّ بن الجَدّ بن عَجْلان**[4] : شهد العقبة ، وبدراً ، وأُحداً ، والخندق ، وسائر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين زيد بن الخطاب ، وهو القائل عند وفاة رسول الله ﷺ لما سمع أحدهم يقول : والله لوددنا أنا مِتْنا قبله ، نخشى أن نُفْتَن بعده ، فقال معن : لكني والله ما أحب أن أموتَ قبلَه ، لأُصدّقه ميتاً كما صدقته حَيّاً . **وجَرْوَل بن العباس بن عامر بن ثابت الأنصاري الأوسي**[5] ، **وعامر بن ثابت**[6] : شهد أُحُداً واستشهد يوم اليمامة .

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٩٠ .

(٢) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ٦ ص ٢١٩ .

(٤) أُسد الغابة : جـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٥) أُسد الغابة : جـ ١ ص ٣٣١ .

(٦) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ١١٩ .

☆ (ومن الخزرج) : **ثابت بن قيس بن شماس**[1] : خطيب الأنصار ، وخطيب رسول الله ﷺ ، شهد أُحُداً وما بعدها ، قال عنه رسول الله ﷺ : « نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس » ، قالت ابنته : سمعت أبي يقول : لما أُنزل على رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[2] ، اشتدت على ثابت وغلق عليه بابه ، وطفق يبكي ، فأُخبر رسول الله ﷺ فسأله ، فأخبره بما كَبُرَ عليه منها ، وقال : أنا رجل أُحب الجمال ، وأنا أَسْوَد قومي (أي سيد قومه) ، فقال ﷺ : « إِنَّكَ لست منهم ، بل تعيش بخير ، وتموت بخير ، ويدخلك الله الجنة » . فلما أُنزل على رسول الله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقول .. ﴾[3] ، فعل مثل ذلك ، فأُخبر النبي ﷺ ، فأرسل إليه فأخبره بما كَبُر عليه منها ، وأَنَّه جهير الصوت ، وأَنَّه يتخوَّف أن يكون مِمَّن حبط عمله ، فقال ﷺ : « إِنَّك لست منهم ، بل تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، ويدخلك الله الجنّة » ، فلما استنفر أبو بكر المسلمين إلى أهل الردة ، سار ثابت فيمن سار .

---

(١) أسد الغابة : جـ ١ ص ٢٧٥ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٨ .

(٢) لقمان : ١٨ .

(٣) الحجرات : ٢ ، وتتمة الآية الكريمة : ﴿ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ .

قـال أنس بن مـالـك : لمـا انكشف النـاس يـوم اليمامـة ، قلت لثابت بن قيس بن شماس : ألا ترى ياعم ؟ ووجدتـه يتحنّـط[1] ، فهو بذلك يستعد للشهادة وقد وطّن نفسه لها ، فقال : ماهكذا كنـا نقـاتل مع رسول الله ﷺ ، بئس مـاعودتم أقرانكم ، وبئس مـاعودتكم أنفسكم ، اللهم إني أبرأ إليك مما جاء بـه هؤلاء ـ يعني المرتـدين ـ وأبرأ إليـك ممـا يصنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ ثم قـاتل حتى قُتِلَ رضي الله عنـه بعـد أن ثبت هو وسالم مولى أبي حذيفة .

وممـا يـذكر ، كان على ثـابت درع لـه نفيسـة ، فمرَّ بـه رجـل من المسلمين فأخذها بعـد استشهـاده ، فبينمـا رجل من المسلمين نـائم ، أتـاه ثابت في نومه[2] ، فقال له : إني أُوصيك بوصيّة ، فإياك أن تقول : هذا حلم فتضيعـه ، إني لمـا قُتِلْتُ أمس مَرَّ بي رجـل من المسلمين ، فـأخـذ درعي ، ومنزله في أقصى الناس ، وعند خبائِهِ فرس يستن في طِوَلـه[3] ، وقد كَفَأَ على الدرع بُرْمةً[4] ، وفوق البُرْمَة رَحْلٌ ، فائت خـالـداً ، فمره

(١) يتحنّـط : أي يستعمل الحَنُوط في ثيابه ، والحَنُوط : مـايخلط من الطيب لأكفـان المـوتى وأجسامهم خاصة .

(٢) قيل إن بلال بن الحرث المزني كان صاحب الرؤيا .

(٣) استن الفرس : عـدا لمرحـه ونشـاطـه شـوطـاً أو شـوطين ولا راكب عليـه ، والطـول : الحبـل الطـويـل يشـد أحـد طرفيـه في وتـد أو غيره ، والطرف الآخر في يـد الفرس ليـدور فيـه ويرعى ، ولا يذهب لوجهه .

(٤) البُرْمة : القِدْر .

فليبعث فليأخذها ، فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ - يعني أبا بكر - فقل له : إن عليَّ من الدَّين كذا وكذا ، وفلان من رقيقي عتيق ، وفلان .. فاستيقظ الرجل فأتى خالداً فأخبره ، فبعث إلى الدرع فأُتي بها على ما وصف ، وحدَّثَ أبا بكر برؤياه ، فأجاز وصيَّتَه ، ولا يُعْلَم أحد أُجيزت وصيته بعد موته سواه رضي الله عنه[1] .

وبشير بن عبد الله[2] : وقيل ، بشر ، من بني الحارث بن الخزرج ، قتل باليامة شهيداً ، ولم يوجد له في الأنصار نسب ، **وكليب بن بشر بن تميم**[3] : شهد أُحداً وما بعدها .

☆ (ومن بني الحُبْلى) : **عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول**[4] : شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان أبوه رأس المنافقين ، وكان أشدَّ الناس على أبيه ، ولو أذن له رسول الله ﷺ فيه لضرب عنقه ، استشهد يوم اليامة رضي الله عنه ، **وعبد الله بن عِتْبَان**[5] الأنصاري .

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٦ / ب ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٣٥ .

(٢) أسد الغابة : جـ ١ ص ٢٢٢ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ٤ ص ٤٩٧ .

(٤) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٢٩٦ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٣٨ .

(٥) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٠٤ .

☆ (ومن بني سالم) : **ثابت بن هَزَّال بن عمرو الأنصاري**[1] : شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

وإياس بن وَدْقَة الأنصاري[2] : وقيل اسمه : إياس بن ودفة ، والصحيح فيه القاف .

☆ (ومن بني ساعدة) : **أسعد بن يربوع**[3] الأنصاري الخزرجي الساعدي ، **وسعد بن جارية بن لوذان بن عبدودّ بن زيد**[4] ، **وأبو دُجَانة سِمَاك بن خَرَشَة**[5] : شهد بدراً وأُحداً وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وأبلى يوم أُحد بلاء مشهوداً ، وأعطاه رسول الله ﷺ سيفاً فأعطاه حقّه ، وكان يتبختر عند الحرب ، فقال ﷺ : « إن هذه لمشية يبغضها الله ، إلاّ في هذا الموطن » ، وكان يعصب رأسه بعصابة حمراء شعاراً له بالشجاعة ، وهو ممن اقتحم على بني حنيفة الحديقة ، فانكسرت رجله ، فلم يزل يقاتل حتى استشهد ، وقد اشترك في قتل مسيلمة مع وحشي .

وسعد بن جَمَّاز[6] **بن مالك** : شهد سعد أُحُداً وما بعدها .

---

(١) أسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٠٤ .

(٢) أسد الغابة : جـ ١ ص ١٨٧ .

(٣) أسد الغابة : جـ ١ ص ٨٨ .

(٤) أورده خليفة بن خياط ، ولم نجد له ترجمة في أسد الغابة .

(٥) أسد الغابة : جـ ٢ ص ٤٥١ .

(٦) أسد الغابة : جـ ٢ ص ٣٤١ .

☆ (ومن بني سلمة) : **عقبة بن عامر بن نَابِي**[1] : شهد العقبة الأُولى ، وبدراً ، وأُحداً . **ومُخَاش الحميري**[2] : حليف الأنصار .

☆ (ومن بني غنم) : **سلمة بن مسعود بن سنان**[3] : من بني غنم بن كعب .

☆ (ومن بني سواد) : **ضَمْرَةُ بن عِيَاض**[4] **الجُهَنيّ** : شهد أُحُداً ، وهو ابن عَمّ عبد الله بن أُنَيْس .

☆ (ومن بني مازن) : **أَبو حَبَّة بن عَزِيَّة بن عمرو**[5] : الأنصاري الخزرجي ، شهد أُحُداً ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأُمّه ، **وحبيب بن زيد بن عاصم**[6] : الأنصاري الخزرجي النَّجَّاري ، قال ابن إسحاق : شهدت نَسِيبة بنت كعب ، أم عمارة ، وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وإبناها : حبيب وعبد الله ، ابنا زيد ، العقبةَ ، وشهدت هي وزوجها وابناها أُحُداً . وحبيب هو الذي أرسله

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٤ ص ٥٤ .

(٢) أُسد الغابة : جـ ٥ ص ١٢٢ ، وهو مُخَاشِن الحميري في أُسد الغابة .

(٣) أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٤٣٣ .

(٤) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٦١ .

(٥) أُسد الغابة : جـ ٦ ص ٦٦ .

(٦) أُسد الغابة : جـ ١ ص ٤٤٣ .

رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ، فكان مسيلمة إذا قال له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، وإذا قال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : أنا أصم لا أسمع ، ففعل ذلك مراراً ، فقطّعه مسيلمة عضواً عضواً ، فمات شهيداً رضي الله عنه .

☆ (ومن بني عمرو بن مبذول) : **حبيب بن عمرو بن محصن**[1] : قتل وهو ذاهب إلى اليمامة ، فهو معدود من جملة الشهداء باليمامة .

☆ (ومن بني مالك بن النجار) : **عمارة بن حزم بن زيد**[2] : كان من السبعين الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين مُحْرِز بن فضلة . شهد بدراً ، وشهد أُحُداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكانت معه راية بني مالك بن النجار يوم الفتح ، روى عن رسول الله ﷺ : « أربع من عمل بهن كان من المسلمين ، ومن ترك واحدة منهن لم تنفعه الثلاث : الصلاة ، والزكاة ، وصيام رمضان ، والحج » ، **ويزيد بن ثابت بن الضحاك**[3] : قيل إنَّه شهد بدراً ، وقيل : بل شهد أُحُداً ، رمي بسهم

---

(١) أسد الغابة : جـ ١ ص ٤٤٦ .

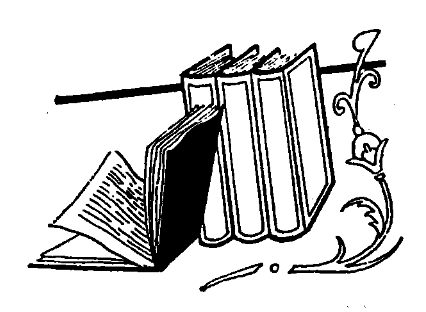
(٢) أُسد الغابة : جـ ٤ ص ١٣٧ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ٥ ص ٤٨٠ .

يـوم اليمامـة فمـات في الطريـق راجعـاً . وهـو أخـو زيـد بن ثـابت الأنصـاري . **وثـابت بن خـالـد بن عمرو بن النُّعْمان بن خنساء**[1] : شهد بدراً وأُحُداً ، **وفروة بن النعمان بن إساف**[2] : شهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد .

☆ (ومن بني زريـق) : **عـائـذ بن مَـاعِص بن قيس الأنصاري**[3] الخـزرجي الـزرقي : شهـد بـدراً مـع أخيـه : معـاذ بن ماعص .





(1) أُسد الغابة : جـ ١ ص ٢٦٦ ، وقيل : قتل يوم بئر معونة .

(2) أُسد الغابة : جـ ٤ ص ٣٦٢ .

(3) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ١٤٨ .

رِدّة أهل البحرين

☆ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ .
[محمد : ٢٥]

بعث رسولُ الله ﷺ العلاءَ بن الحضرمي إلى ملك البحرين المنذر بن سَاوى ، فأسلم على يديه ، وأقام العلاءُ فيهم الإسلام والعدل ، فلما توفي رسول الله ﷺ ، توفي المنذر بعده بقليل ، فارتد أهل البحرين ، وملّكوا عليهم المغرور ، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر ، وقال قائلهم : لو كان محمد نبيّاً ما مات ، ولم يبق في البحرين بلدة على الثبات سوى قرية يقال لها « جواثا[1] » .

حِصَارُ جُوَاثا :

حاصر المرتدون مسلمي جواثا ، وضيَّقوا عليهم ، حتى منعوا عنهم

(١) وهي في الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٨/أ : جُواثى .

الأقوات ، وجاع المسلمون جوعاً شديداً ، حتى قال رجل منهم يقال له عبد الله بن حذف :

أَلا أبلغْ أَبا بَكْرٍ رَسُولاً ... وَفِتْيانَ[1] المَدينةِ أَجْمَعينا
فَهَلْ لَكُمُ إلى قومٍ كِرامٍ[2] ... قُعُودٍ في جُوَاثا[3] محاصَرينا
كأَنَّ دِماءَهُم في كُلِّ فَجٍّ[4] ... شُعَاعُ الشَّمْسِ يغشى النَّاظرينا
تَوَكلنا على الرحمنِ إنَّا ... وَجَدْنا الصبرَ[5] للمُتَوَكِّلِينَا

الجَارُودُ بنُ المُعَلَّى العَبْدي[6] :

وقام في جواثا رجل من أشرافهم ، وهو الجارود بن المُعَلَّى ، خطيباً وقد جمعهم فقال : يا معشر عبد القيس ، إني سائلكم عن أمر

---

(١) في الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٨/أ : وسكان المدينة أجمعينا .

(٢) في الاكتفاء :

فهل لكم إلى نفر يسير ... مقيم في جُؤَاثى محاصرينا

(٣) وردت في الاكتفاء : جُؤَاثى كما في الحاشية السابقة ، وهي في معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٧٤ : جُواثاء .

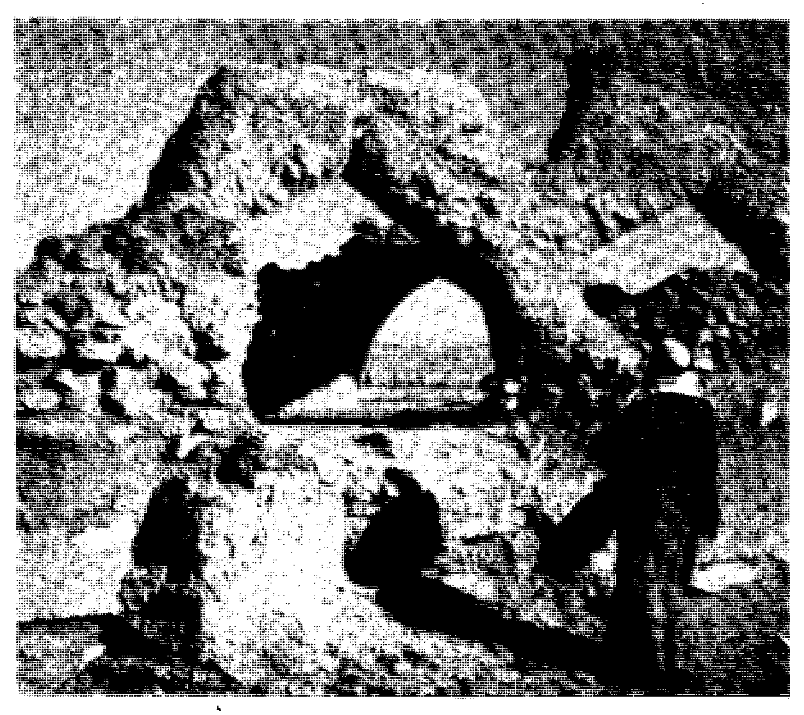
(٤) في الاكتفاء : في كل شمس .

(٥) « قد وجدنا النصر » الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٨/أ .

(٦) وفد الجارود على رسول الله ﷺ سنة عشر للهجرة في وفد عبد القيس ، فأسلم - وكان نصرانياً - ففرح رسول الله ﷺ بإسلامه ، فأكرمه وقرّبه ، ولما أسلم الجارود قال :

شهدتُ بأنَّ اللهَ حَقّ وسامحتْ ... بَنَاتُ فؤادي بالشهادة والنهضِ
فأبلغ رسولَ الله عنّي رسالةً ... بأنّي حنيف حيث كنتُ من الأرضِ

أُسد الغابة : جـ ١ ص ٣٠١ .



☆ قرية (جُؤاثا) أو (جواثى) التي كانت تضم مسجد عبد القيس، وهو أول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد رسول الله ﷺ، وقد أُزيلت أخيراً خمسة أمتار من الرمال التي كانت تغطيه وتغطي البئر القريبة منه، فظهر الماء العذب فيها ثانية بعد أن كان قد توقف طويلاً
كما ظهر الجدار القبلي للمسجد

فأخبروني إن علمتموه ، ولا تجيبوني إن لم تعلموه ، فقالوا : سل ، قال : أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد ؟ قالوا : نعم ، قال : تعلمونه أمْ ترونه ؟ قالوا : نعلمه ، قال : فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا ، قال : فإن محمداً ﷺ مات كما ماتوا ، وإني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ، فقالوا : ونحن أيضاً نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنت أفضلنا وسيدنا ، وثبتوا على إسلامهم ، وتركوا بقية الناس فيما هم فيه[1] .

العَلاَءُ بنُ الحَضْرَمي :

بعث أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه العلاءَ بن الحضرمي لقتال أهل الرِّدَّة في البحرين ، فلما دنا منها جاء إليه ثمامة بن أثال في حشد كبير ، وجاء بعض أُمراء تلك النواحي رفداً إلى جيش العلاء[2] ، ولما اقترب من المرتدين وحشودهم الضخمة ، نزل ونزلوا ، وباتوا متجاورين في المنازل ، فبينما المسلمون في الليل ، إذ سمع العلاء أصواتاً عالية في جيش المرتدين ، فقال : من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء ؟ فقام عبد الله بن حَذف ، ودنا من خندقهم فأخذوه ، وكانت أُمُّه

---

(١) ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٦ ، الطبري : جـ ٣ ص ٣٠١ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٧ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٩ ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٨/أ .

(٢) رأى الناس من العلاء في حروبه للمرتدين كرامتين ، إنه من سادات الصحابة العلماء العباد ، مجابي الدعوة .

عجليَّة ، فجعل ينادي : يا أبجراه ، فجاء أبجر بن بجير فعرفه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : علام أُقتل وحولي عساكر من عجل وتيم اللاَّت وغيرها ؟ فخلَّصه ، فقال له : والله إني لأظنّك بئس ابن أُخت أتيت الليلة أخوالك ، فقال : دعني من هذا وأطعمني ، فقد مت جوعاً ، فقرَّب له طعاماً فأكل ، ثم قال : زودني واحملني ، يقول هذا والرجل قد غلب عليه السُّكْر ، فحمله على بعير وزوّده وجوزه[1] .

وجد عبد الله بن حَذف المرتدين سكارى لا يعقلون من الشراب ، فرجع إلى العلاء فأخبره ، فركب العلاء من فوره بجيشه ، وانقضَّ على المرتدين فقتلوهم ، إلا قسم استطاع الفرار والهرب .

وغنم المسلمون جميع أموالهم وأثقالهم ، فكانت غنية عظيمة[2] .

الحطمُ بنُ ضُبَيْعَة :

وكان الحطم من سادات القوم نائماً ، فقام دهشاً حين اقتحم المسلمون عليهم ، فركب جواده ، فانقطع ركابه ، فجعل يقول : من يصلح لي ركابي ؟ فجاء عفيف بن المنذر التيمي[3] فقال : أَنا أُصلحها لك ـ والوقت ليل ـ ارفع رجلك ، فلما رفعها ضربه عفيف بالسَّيف

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٨/ب ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٥٠ .

(٢) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٧ ، الطبري : جـ ٣ ص ٣٠٩ .

(٣) وأسر عفيف المنذر بن النعمان (المغرور) فأسلم ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٧ .

فقطعها مع قدمه ، فقال له : أجهز عليّ ، فقال : لا أفعل ، فوقع صريعاً ، كلما مرَّ به أحد يسأله أن يقتله فيأبى ، حتى مرَّ به قيس بن عاصم فقال له : أنا الحطم فاقتلني ، فقتله .

ثم سار العلاء ومن معه من المسلمين إلى جزيرة (دَارِين) ، فخاض البحر وعاد وقد قهر المرتدين ، ولم يفقد في البحر شيئاً سوى عليقة فرس لرجل من المسلمين ، ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها .

قال عفيف بن المنذر في مرورهم مع العلاء في البحر :

أَلم تَرَ أَنَّ اللهَ ذَلَّلَ بَحْرَهُ وَأَنزلَ بِالكُفَّارِ إحدى الجَلائِلِ
دَعَوْنا إلى شَقِّ البِحارِ فجاءَنا بأَعجَبَ[1] مِنْ فَلْقِ البِحارِ الأَوَائِلِ

ذكر سيف بن عمر التميمي أنه كان مع المسلمين في هذه المواقف والمشاهد التي رأوها من أمر العلاء ، وما أجرى الله على يديه من الكرامات ، رجل من أهل هجر راهب ، فأسلم حينئذ ، فقيل له : مادعاك إلى الإسلام ؟ فقال : خشيت إن لم أفعل أن يمسخني الله ، لما شاهدت من الآيات ، وعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله ، فَحَسُنَ إسلامه[2] .

---

(١) في الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٩/أ ، بأعظم ، والأبيات في الطبري : جـ ٣ ص ٣١١ ، والكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٥١ .

(٢) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٩ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٥٢ .

رِدّة أهل عُمان ومَهْرة

☆ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ٱفْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيءٌ ؟ ﴾ .

[الأنعام : ٩٣]

أ ـ في عُمَان : ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي :

ظهر في عُمَان رجل يقال له : ذو التاج ، لقيط بن مالك الأَزدي ، وكان يضاهي في الجاهلية الجُلَنْدَى[1] ، فادَّعى النبوَّة ، وتابعه الجهلة من أَهل عُمَان ، فقهر جَيْفَراً وعبداً ، وألجأهما إلى الجبال ، فبعث جيفر إلى الصِّدِّيق رضي الله عنه فأخبره الخبر ، وطلب مدداً ، فبعث رضي الله عنه بأميرين : حذيفة بن محصن ، وعرفجة البارقي الأزدي ، حذيفة إلى عُمَان ، وعرفجة إلى مَهْرَة ، وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويبتدئا بعُمَان ، وحذيفة هو الأمير ، فإذا ساروا إلى بلاد مهرة فعرفجة الأَمير .

---

(١) جَيْفَر وعبد ابنا الجُلَنْدى ، أُمراء عُمَان في عهد رسول الله ﷺ .

ثم أمر الصِّـدِّيـقُ رضي الله عنـه ـ بعـد قهر مسيلمـة ومقتلـه ـ عكرمةَ بن أبي جهل أن يلحق بحذيفـة وعرفجـة إلى عُمان ، « وكل منكم أمير على جيشه ، وحذيفة مـا دمتم بعُمَـان فهو أمير النـاس ، فـإذا فرغتم فـاذهبـوا إلى مهرة ، فـإذا فرغتم منهـا فـاذهب إلى اليمن وحضرمـوت ـ الخطاب لعكرمة هنا ـ فكن مع المهاجر بن أَبي أُميَّة ، ومن لقيته من المرتدة بين عُمَان إلى حضرموت واليمن فنكِّل به »[1] ، ثم كتب الصِّدِّيق إلى حذيفة وعرفجة أن ينتهيـا إلى رأي عكرمـة بعـد الفراغ ، من السير من عُمَان ، أو المقام بها .

فلحق عكرمة بحذيفة وعرفجة قبل أن يصلا إلى عُمَـان ، فسـاروا جميعـاً ، فلمـا اقتربـوا من عُمَـان راسلـوا جَيْفَراً من مكان يُسَمى « رجاما » ، وبلغ لقيـط بن مـالـك مجيء الجيش ، فعسكر في جموعـه بِدَبَا[2] ، وجعل الـذراري والأموال وراء ظهورهم ، واجتمع جيفر وعبـد بمكان يقال له صُحَار[3] فعسكرا بـه ، وبعثـا إلى أُمراء الصِّـدِّيق فقـدموا على المسلمين ، فتقابل الجيشان هناك ، وتقاتلوا قتالاً شـديـداً ، وجـاء المسلمين في السـاعـة المنـاسبـة مَـدَدٌ من بني نـاجيـة وعليهم الخريت بن

---

(١) ابن خلـدون : جـ ٢ ص ٧٧ ، الكامـل في التـاريـخ : جـ ٢ ص ٢٥٢ ، الاكتفـاء : جـ ٢ ص ١٩/ب ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٣٠ ، الطبري : جـ ٣ ص ٣١٣ .

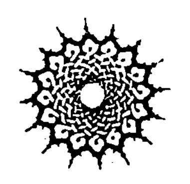
(٢) راجع موقعها على المصوَّر .

(٣) راجع موقعها على المصور ، وصُحَار : كَغُرَاب .

راشد ، وعبد القيس وعليهم سيحان بن صُوحان ، فقتل من المرتدين عشرة آلاف مقاتل ، وتَمَّ النصر للمسلمين والقضاء على المرتدين في عُمَان .

٢ ـ في مَهْرَة : المصبَّح وشخريت[1] :

سار عكرمة بالمسلمين إلى بلاد مهرة ، فوجد أهلها جُنْدَين ، على أَحدهما ـ وهم الكثرة ـ أمير يقال له : المصبَّح أحد بني محارب ، وعلى الجند الآخرين أمير يقال له : شخريت ، وهما مختلفان ، وكان هذا الاختلاف رحمة على المؤمنين ، فراسل عكرمة شخريتاً فأجابه ، وانضاف بقواته إلى عكرمة ، وتمادى المُصَبَّح على طغيانه ، مغترّاً بكثرة من معه ومخالفته لشخريت ، فسار إليه عكرمة ومن معه ، فاقتتلوا مع المصبَّح أشد من قتال دَبَا ، فتم النصر للمسلمين ، وقتل المصبَّح ، وفرَّ من كان معه .



---

(١) هو سخريت في الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٥٣ ، وابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٨ ، وهو شخريت في البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٣٠ .

الأسود العَنَسي

☆ « إنّي رأيتُ البارحةَ - فيما يرى النائِمُ - أنّ في عَضُدَيَّ سوارين من ذهب ، فكرهتُهما فنفختهما فطارا ، فأوّلتهما هذين الكذّابَيْن ، صاحب اليمامة وصاحب اليمن » .

رسول الله ﷺ

اليَمَنُ قُبَيْلَ ظُهُورِ الأَسْوَدِ العَنَسيّ :

كانت اليمن لحِمْيَر ، وكانت ملوكهم يسمون التبابعة[1] ، ثم أرسل ملكُ الحبشة أَبرهةَ الأَشرم وأَرياطَ فتملَّكا له اليمن من حِمْيَر ، ثم اختلف هذان الأميران ، فَقُتِل أَرياط ، واستقل أَبرهة بحكم اليمن ، وبنى كنيسة سمّاها « القُلَّيْس » ، وأراد أن يصرف حج العرب إليها دون الكعبة ، فجاء قرشي فأحدث في « القُلَّيْس » ، فلما بلغه ذلك حلف ليخرِّبنَّ البيت في مكَّة ، فسار إلى مكَّة ومعه الجنود والفِيَلَة ، ولكن الله ردَّه خائباً خاسراً ، ولما وصل إلى صنعاء ، مات من غيظه ، فقام بالمُلْكِ

---

(١) مفردها تُبَّع .

بعده ولده بلسيوم بن أبرهة ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، واستمر ملك اليمن بأيدي الحبشة سبعين سنة[1] .

واستطاع سيف بن ذي يزن بمعونة الفرس استنقاذ اليمن من الأحباش ، وقتل مسروق بن أبرهة ، ودخل إلى صنعاء ، وجاءت العرب تهنئه لملكه اليمن ، غير أن لكسرى نُوَّاباً على اليمن .

وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنوَّرة ، كتب كُتُبَه إلى الآفاق يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وكتب في جملة ذلك إلى كسرى ملك الفرس ، فلما فتح الكتاب وجده قد بدأ باسمه قبل اسم كسرى ، فغضب كسرى غضباً شديداً ، وأخذ الكتاب فخرقه قبل أن يقرأه ، وكتب إلى عامله على اليمن واسمه (باذان) : أمّا بعد ، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث من قبلك أَميرين إلى هذا الرجل الذي بجزيرة العرب ، الذي يزعم أنه نبيّ ، فابعثه إلي في جامعة[2] ، وبعث باذان رجلين عاقلين وقال لهما : اذهبا إلى هذا الرجل ، فانظرا ما هو ، فإن كان كاذباً فخذاه في جامعة حتى تذهبا به إلى كسرى ، وإن كان غير ذلك فارجعا إلي فأخبراني ما هو ، حتى أنظر في أمره ، فقدما على رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فوجداه على أَرشد الأحوال وخيرها عقلاً

(١) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٠٦ .

(٢) الجامعة : الغُلُّ . لأنها تجمع اليدين إلى العنق ، لسان العرب : جـ ٨ ص ٥٩ .

وحكمة ونبوّة صادقة ، ورأيا منه ﷺ أموراً عجيبة[1] ، ومكثا عنده شهراً ، وقال لهما ﷺ : « ارجعا إلى صاحبكما فأخبراه أن ربّي قد قتل الليلة ربّه » ، فأرّخا ذلك عندهما ، ثم رجعا سريعاً إلى اليمن ، فأخبرا باذان بما قال لهما ، فقال باذان : احصوا تلك الليلة ، فإن ظهر الأمر كما قال فهو نبيّ . فجاءت الكتب من عند ملكهم أنّه قتل كسرى في تلك الليلة ، وقام بالمُلْكِ بعده ولده يزدجرد ، وكتب إلى باذان : أن خذ لي البيعة من قبلك ، واعمد إلى ذلك الرجل فلا تهنه وأكرمه ، فدخل الإسلام في قلب باذان وذويه وذريته من أبناء فارس مِمَّن باليمن ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه ، فبعث إليه رسول الله ﷺ بنيابة اليمن بكاملها ، وبقي على اليمن حتى مات ، فاستناب ﷺ ابنه « شهر بن باذان » على صنعاء وما حولها ، وبعث طائفة من أصحابه نُوَّاباً على المناطق الأخرى ، فبعث أولاً في سنة عشر علياً وخالداً ثم أرسل ﷺ :

عمرو بن حزم[2] على نجران .

خالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورِفَع[3] وزَبِيد .

---

(١) أهمها إخبار رسول الله ﷺ بمقتل كسرى .

(٢) وفي البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٠٧ : عمرو بن حرام .

(٣) في ابن خلدون : زمع .

عامر بن شهر على هَمْدان .

شهر بن باذان على صنعاء .

الطاهر بن أبي هالة على عَكّ[1] والأشعريين .

أبو موسى الأشعري (عبد الله بن قيس) على مأرب .

عُكَّاشة بن ثور على السكاسك والسَّكون[2] .

زياد بن لبيد الأنصاري على حضرموت .

عبد الله (أو المهاجر) بن أبي أُميَّة على بني معاوية بن كندة .

وعلى الجُنَد : يعلي بن أُميَّة ، وكان معاذ بن جبل[3] رضي الله عنه مُعَلِّماً ، يتنقل في عُمَّاله ، كل عامل باليمن وحضرموت .

فبينما هم على ذلك ، إذ ظهر أمر الأَسود العنسي .

---

(١) بلاد عَكّ بحيال صنعاء في تهامة قرب الساحل .

(٢) السكاسك والسَّكون : السَّكَاسِكُ : شمال اليمن ، آخر مخاليف اليمن . والسَّكون بجوارها ، معها .

(٣) معاذ بن جبل : [أُسد الغابة : جـ ٥ ص ١٩٤ ، طبقات ابن سعد : جـ ٢ ص ٣٤٧] : قال ﷺ : « أعلَمُ أُمَّتِي بالحلال والحرام معاذُ بن جبل » ، وقال معاذ : لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال لي : بِمَ تَقضي إنْ عَرض قَضاءٌ ؟ قال : قلتُ : أَقضي بما في كتاب الله ، قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : قلتُ : أقضي بما قَضى به الرسولُ . قال : فإن لم يكن فيما قضى به الرسول ؟ قال : قلتُ : أجتهدُ رأيي ولا آلو ، قال : فضرب صدري وقال : « الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسول الله لما يرضي رسولَ الله » . وقال عمر رضي الله عنه بالجابية : من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأتِ معاذَ بن جبل . وكان عبد الله بن عمرو يقول : حَدِّثونا عن العاقِلَين . فيُقال : مَنْ العاقِلان ؟ فيقول : معاذ وأبو الدرداء .

خُرُوجُ الأَسْوَد العَنَسِي :

أَوَّل رِدَّة كانت في الإسلام باليمن ، وكانت في عهد رسول الله ﷺ ، على يد ذي الخِمار[1] عَبْهلة بن كعب بن غوث ، وهو الأسود العنسي ، من بلدة يُقَال لها : كهف خُبَّان[2] ، ومنها خرج بنبوءته ، وكان كاهناً شِعْباذاً[3] ، يري الناس الأعاجيب ، ويسبي مَنْطِقُهُ القلوب .

كاتب العنسي أهل مذحِج ، وواعده أهل نجران . وفعلاً فقد ارتد أهل نجران ، ووثب فيها قيسُ بن عبد يغوث على فروة بن مُسَيك[4] وهو على مُرَاد ، فأجلاه ونزل منزله .

جمع العنسيُّ حوله سبعمئة مقاتل ، وكتب إلى عمال رسول الله ﷺ : أيُّها المتمرِّدون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ،

---

(١) أو ذو الحمار ، فقد كان له حمار مُعَلَّم ، وسمى نفسه : (رحمان اليمن) ، كما تسمَّى مسيلمة : (رحمان اليمامة) .

(٢) خَبَّان : قرية باليمن في وادٍ يقال له وادي خبان قرب نجران ، وهي قرية الأسود العنسي ، معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٤٣ .

(٣) الْمُشَعْبِذُ : الهازئ كالْمُشَعْوِذ ، لسان العرب : جـ ٣ ص ٢٣٨ .

(٤) فروة بن مسيك ، وقيل ابن مُسَيكة ، وهو مرادي غُطَيفي ، أصله من اليمن ، قدم على رسول الله ﷺ سنة عشر ، فأسلم ، فبعثه ﷺ على مُرَاد وزَبيد ومَذْحِج ، طبقات ابن سعد : جـ ٤ ص ٣٥٩ .

ووفّروا ما جمعتم ، فنحن أولى به ، وأنتم على ما أنتم عليه . ثم ركب فتوجَّه ومن معه إلى نجران فأخذها بعد عشر ليال من مخرجه ، ثم قصد صنعاء ، فخرج إليه شهر بن باذان فتقاتلا ، فغلبه الأسودُ العنسي وقتله ، وكُسِرَ جيشُ الأبناء ، واحتل العنسي صنعاء لخمس وعشرين ليلة من مخرجه ، فالتجأ معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري إلى حضرموت ، وانحاز عمال رسول الله ﷺ إلى الطاهر بن أبي هالة ، ورجع عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة ، ومَلَكَ العنسي اليمن بكاملها ، ثم توسَّع وغلب على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والأحساء إلى عدن ، وجعل أُمراءه : قيس بن عبد يغوث ، ومعاوية بن قيس ، ويزيد بن محرم بن حصن الحارثي[1] ، ويزيد بن الأفكل الأزدي ، واشتد ملكه ، واستغلظ أمره ، وارتد خلق من أهل اليمن ، وعامله بعض المسلمين بالتقيَّة تدبُّراً لأمرهم للقضاء عليه لا خوفاً على أرواحهم ، بل تخطيطاً لقتله بعد استفحال أمره .

وكان خليفة العنسي على مذحج عمرو بن معدي كرب ، وأسند أمر الجند إلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأَبناء إلى فيروز

(١) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٠٧ و ٣٠٨ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٢٩ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٢٨ .

الديلمي وداذويه ، وتزوّج بامرأة شهر بن باذان ، وهي ابنة عم فيروز الديلمي واسمها (أَزَاد[1]) ، وكانت امرأة مؤمنة بالله ورسوله ﷺ ، ومن الصالحات التقيات الطاهرات .

وبلغ رسول الله ﷺ خبر الأسود العنسي ، فأرسل كتاباً حمله وَبَرُ بنُ يُحَنَّس الأزدي يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنسي ومصاولته ، يقول جُشَيْش بن الديلمي : فجاءتنا (يعني إليه وإلى فيروز وداذويه) كتب النبي ﷺ يأمرنا بقتاله ، إما مصادمة أو غيلة ، وأن نكاتب من عنده دين (أي مسلم باق على إسلامه) ، فعملنا في ذلك .

وقام معاذ بن جبل بهذا الكتاب أتمَّ القيام ، وكان قد تزوّج امرأة من السَّكون يقال لها (رملة) ، فعطفت عليه السَّكون لصبره فيهم ، وقاموا معه في ذلك ، وبلغوا هذا الكتاب إلى عمال رسول الله ﷺ ، ومن قدروا عليه من الناس ، واتفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث أمير الجند ، وكان قد غضب على العنسي ، واستخف به ، وهمَّ بقتله ، وكذلك كان أمر فيروز الديلمي وداذويه .

ولما أعلم وبرُ بنُ يحنس قيسَ بن عبد يغوث[2] ، كان كأنَّما نزلوا

---

(١) وهي في البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٠٨ : أزاذ .

(٢) قَيْسُ بن عَبْدِ يَغُوث بن المَكْشُوح : وهو ممن شَرِك في قتل الأسود العنسي ، ويرد ذكره مستوفى في قيس بن المكشوح ، فهو به أشهر . أُسد الغابة : جـ ٤ ص ٤٣٧ .

عليه من السماء ، ووافقهم على الفتك بالعنسي ، وتوافق المسلمون على ذلك ، وتعاقدوا عليه ، ولكن عيون العنسي أعلمته بالأمر ، فاستدعى قيساً وفيروز وداذويه وقال : ألم أُشرِّفكم على قومكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فماذا يبلغني عنكم ؟ فقالوا : أَقِلْنا[1] مَرَّتنا هذه ، فقال : لا يبلغني عنكم فأقيلكم .

المرأة الصَّالحة « أَزاد » :

وبينما المسلمون على خطر وارتياب مع العنسي ، إذ جاءت كُتُبٌ من عامر بن شهر بن باذان أمير همدان ومن أمير ذي ظليم وذي كلاع وذي زود وذي مران وغيرهم من أُمراء اليمن ، يبذلون لقيس وفيروز وداذويه الطاعة والنصر على مخالفة الأسود ، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله ﷺ يحثهم على مصاولة العنسي ، فكتبوا إليهم أن لا يحدثوا شيئاً حتى نبرم الأمر .

قال قيس : فدخلت على أَزاد فقلت : يا ابنة عمي ، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ، قتل زوجك ، وطأطأ[2] في قومك

---

(١) أَقَلْتُه البيعَ إقالةً : وهو فسخُه ، وفي حديث ابن الزبير : لما قُتِل عثمان قلت : لاأستقيلها أبداً ، أي لاأُقِيل هذه العَثْرة ولا أنساها ، لسان العرب : جـ ١١ ص ٥٨٠ . والمراد هنا : اغفر لنا هذه المرة ، وانساها لنا .

(٢) طأطأ عن الشيء : خَفَض رأسَهُ عنه ، وكُلُّ ماحُطَّ فقد طُؤْطِئَ ، وقد تَطَأْطَأَ إذا خَفَضَ رأسه ، لسان العرب : جـ ١ ص ١١٣ . والمراد هنا : أكثر في قومك القتل .

القتل ، وفضح النساء ، فهل عندك ممالأة عليه ؟ قالت : أي أمر ؟ قال قيس : إخراجه ، قالت : أو قتله ؟! قال : أو قتله ، قالت : نعم ، والله ما خلق الله شخصاً هو أبغض إليّ منه ، فما يقوم لله على حق ، ولا ينتهي له عن حرمة ، فإذا عزمتم أخبروني أعلمكم بما في هذا الأمر .

وقال قيس : فخرجت فإذا فيروز وداذويه ينتظراني يريدان أن يناهضاه ، وينتهيا منه ، وكان للعنسي حراساً وعيوناً يرصدون كل حركة في القصر ، فعلم بما دار ، فأرسل وراء فيروز وقال له : أحقّ ما بلغني عنك يا فيروز ؟ فقال : اخترتنا لصهرك ، وفضلتنا على الأبناء ، فلو لم تكن نبيّاً ما بعنا نصيبنا منك بشيء ، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الآخرة والدنيا ؟ فلا تقبل علينا أمثال ما يبلغك ، فأنا بحيث تحب .

وحرَّض رجلٌ الأسودَ العنسي على فيروز ، وسعى إليه فيه ، فقال الأسود : أنا قاتله غداً وأصحابه ، وتتبَّع فيروز الأسود العنسي وسمع ما دار بينه وبين الرجل ، فذهب إلى أصحابه فأعلمهم بما سمع ، فاجتمع رأيهم على أن يسألوا أزاد ثانية عن مدى استعدادها لتنفيذ قتله غيلة في أقرب فرصة . فدخل فيروز إليها فقالت : إنه ليس من الدار بيت إلاّ والحرس محيطون به ، غير هذا البيت ، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه من

دون الحرس ، وليس مِن دون قتله شيء ، وإني سأضع في البيت سراجاً وسلاحاً[1] ، فلما خرج فيروز من عندها تلقاه العنسي ، فقال له : ماأدخلك على أهلي ؟ ووجأ رأسه[2] ، فصاحت أزاد ، فأدهشته عنه ، ولولا ذلك لقتله ، وقالت : ابن عمي جاءني زائراً ، فقال : اسكتي لاأبا لك ، قد وهبته لك ، فخرج على أصحابه فقال : النجاء النجاء ، وأخبرهم الخبر ، فحاروا ماذا يصنعون ؟! فبعثت أزاد إليهم تقول لهم : لاتنثنوا عما كنتم عازمين عليه ، فدخل عليها فيروز فاستثبت منها الخبر ، ودخلوا إلى ذلك البيت ، فنقبوا من داخله بطائن ليهون عليهم النقب من خارج ، ثم جلس عندها جهرة كالزَّائر ، فدخل الأسود فقال : وما هذا ؟ فقالت أزاد : إنه أخي من الرضاعة ، وهو ابن عمي[3] ، فنهره وأخرجه ، فرجع فيروز إلى أصحابه .

مَقْتَلُ الأَسْود العَنَسيّ :

فلما كان الليل ، نقبوا ذلك البيت فدخلوا فوجدوا فيه سراجاً تحت جفنة[4] ، فتقدم إليه فَيْروز والأسود العنسي نائم على فراش من

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٠٩ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٢٩ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٣٤ .

(٢) الوَجْءُ : اللَّكز ، وَوَجأ باليد وَجأ : ضربه ، لسان العرب : جـ ١ ص ١٩٠ .

(٣) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٠ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٠ .

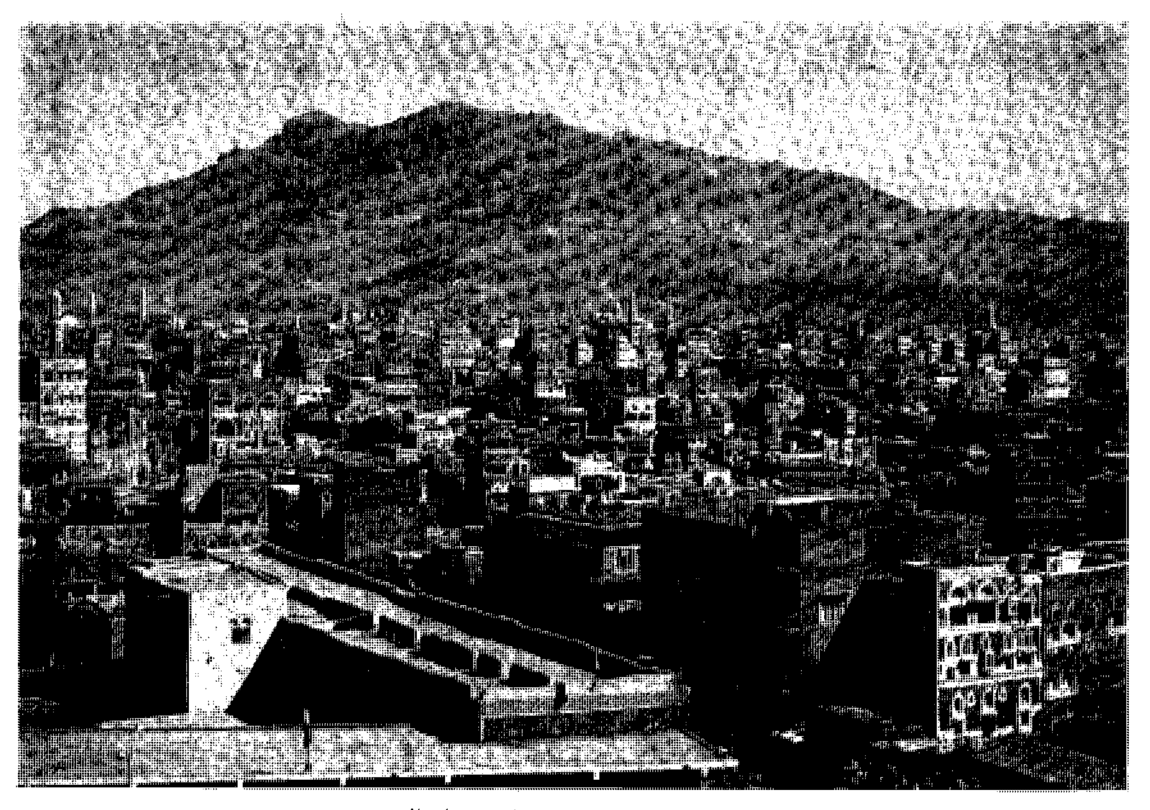
(٤) الجَفْنة : أعظم مايكون من القِصاع ، لسان العرب : جـ ١٣ ص ٨٩ ، وفي الصحاح : الجَفْنة كالقَصْعة .

حرير ، قد غرق رأسه في جسده ، وهو سكران يغط ، وأراد جالسة عنده ، فأخذ فيروز رأسه فدقَّ عنقه ، ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتله ، يساعده بذلك قيس ، وأراد قيس الخروج ليعلم المسلمين بقتله ، فمنعته أزاد حتى يحتزُّوا رأسه ، فاحتزّا رأسه ، فخار كأشد خوار ثور سُمِعَ قط ، فابتدر الحرس إلى المقصورة ، فقالوا : ماهذا ، ماهذا ؟ ماشأن رحمان اليمن ؟ فقالت المرأة : النبيّ يُوحى إليه ، فرجعوا ، وجلس قيس وداذويه وفيروز يأتمرون كيف يُعْلِمُونَ المسلمين . فاتفقوا على أنَّه إذا كان الصباح ينادون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين ، فلما كان الصباح قام أحدهم ، وهو قيس ، على سور الحصن ، فنادى المسلمين بشعارهم ، فاجتمع المسلمون والمرتدون حول الحصن ، فنادى قيس (ويقال وبر بن يحنس) الأذان : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأن عبهلة (الأسود العنسي) كذَّاب ، وألقى إليهم رأسه ، فانهزم أصحابه ، وتبعهم المسلمون يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق يأسرونهم ، وظهر الإسلام وأهله ، وعاد نوّاب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم ، وكتبوا بالخبر إلى رسول الله ﷺ ، وقد أطلعه الله عز وجل على الخبر من ليلته[1] .

☆ ☆ ☆

---

(١) الطبري : جـ ٣ ص ٢٣٥ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٠ ، أُسد الغابة : جـ ٤ ص ٣٧١ .



☆ منظر عام لجانب من مدينة صنعاء اليوم

بِشَارَةُ رَسُولِ الله ﷺ مُعْجِزَةٌ :

قال ابن عمر : أتى الخبر إلى النبي ﷺ من السَّماء الليلة التي قتل فيها العنسي ، ليبشرنا ، فقال ﷺ : « إن الله قد قتل الأسود العنسي ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين ، قتله بيد رجل من إخوانكم ، وقوم أسلموا وصدقوا » ، قيل : ومن هو ؟ قال ﷺ : « فيروز ، فاز فيروز »[1] .

إن مدَّة مُلْك العنسي منذ ظهر إلى أن قُتِلَ ثلاثة أشهر ، أو أربعة أشهر[2] .

فَيْرُوزُ ٱلدَّيْلَمي :

يقول فيروز الديلمي : قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا في صنعاء كما كان ، إلاَّ أنا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضينا عليه ، فكان يُصَلّي بنا في صنعاء ، فوالله ما صلى بنا إلا ثلاثة أيام حتى أتانا الخبر بوفاة رسول الله ﷺ ، فانتقضت الأُمور ، وأنكرنا كثيراً مما كنا نعرف ،

(١) الطبري : جـ ٣ ص ٢٣٦ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣٠ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٠ .

(٢) في الطبري : جـ ٣ ص ٢٤٠ : « كان مابين خروجه بكهف خُبَّان ومقتله نحواً من أربعة أشهر » ، وكان ذلك في ٣٠ أيار ٦٣٢ م ، السادس من ربيع الأول ١١ هـ .

واضطربت الأرض ، وكان اجتماع الكلمة ، وتأليف ما بينهم ، والتمسُّك بدين الإسلام زمن الصِّدِّيق .

رِدَّة ٱليَمَن :

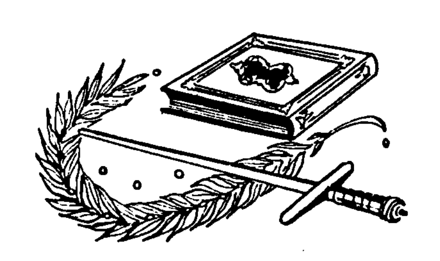
بقيت طائفة من أصحاب الأسود العنسي يتردَّدون بين صنعاء ونجران بعد مقتله ، يعيثون في الأرض فساداً ، ولما بلغ الناس موت رسول الله ﷺ طمع قيس بن مكشوح في الإمارة في اليمن ، فارتد عن الإسلام ، وتابعه عوام أهل اليمن ، وكتب الصِّدِّيق إلى الأُمراء والرؤساء من أهل اليمن أن يكونوا عوناً إلى فيروز على قيس ، حتى تأتيهم جنوده سريعاً .

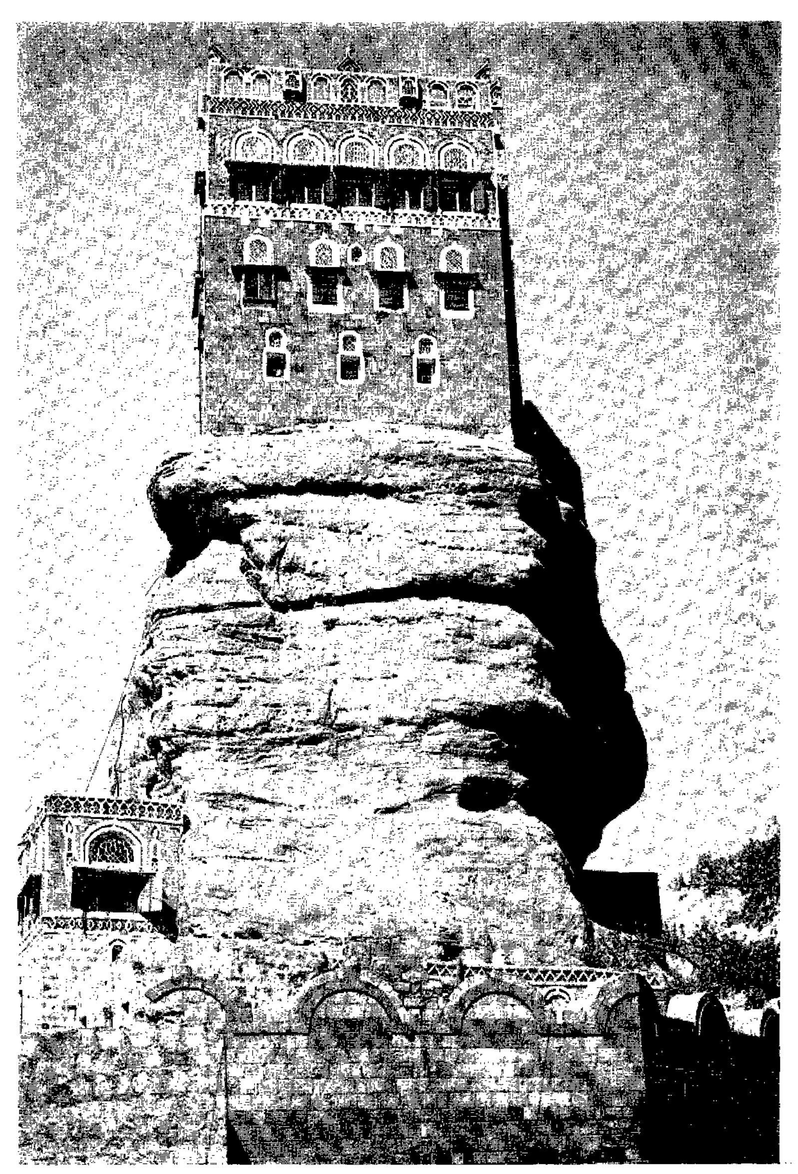
وحرص قيس على قتل داذويه وفيروز الديلمي ، واستطاع قتل دَاذويه ، واحترز منه فيروز ، وتحصَّن عند أخواله (بني خولان شمال اليمن) ، وساعدته عقيل وعك وخلق ، وعمد قيس إلى ذراري فيروز وداذويه ، والأبناء ، فأجلاهم عن اليمن ، وأرسل طائفة في البر ، وطائفة في البحر ، فاحتدَّ فيروز ، فخرج في خلق كثير ، فتصادف هو وقيس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم فيروزُ قيساً وجندَه من العوام مع بقية جند الأسود العنسي ، وأُسر قيس وعمرو بن معدي كرب ، وكان عمرو قد ارتد وبايع الأسود العنسي ، ولما وصل جيش المهاجر بن أَبي أُمية طهَّر مناطق اليمن الداخلية والمرتفعات ، وطهر سويد بن مقرِّن

المزني السهل الساحلي ، وطهر عرفجة بن هرثمة ، وعكرمة بن أبي جهل حضرموت ومناطق اليمن الشرقية . وبعث المهاجر بن أبي أُمية إلى أبي بكر رضي الله عنه قيساً وعَمْراً بن معدي كرب أَسيرين ، فعنفهما وأنبهما ، فاعتذرا إليه ، فقبل منهما علانيتهما ، ووكل سرائرهما إلى الله عز وجل ، وأطلق سراحهما ، وردَّهما إلى قومهما .

ورجعت عمال رسول الله ﷺ الذين كانوا باليمن إلى أماكنهم التي كانوا عليها أيام رسول الله ﷺ .

☆ ☆ ☆





☆ طراز البناء في اليمن : (قصر الحجر في وادي ظهر ، صنعاء)

خاتمة

ملاحظات وتعليقات وردود

☆ « عندما ألقي نظرة إجمالية استعرض فيها صفاته - ﷺ - وبطولاته ماكان منها في بدء نبوّته ، وما حدث منها فيما بعد ، وعندما أرى أصحابه الذين نفخ فيهم روح الحياة ، وكم من البطولات المعجزة أحدثوا ، أجده أقدس الناس ، وأعلاهم مرتبة ، حتى إنّ الإنسانيّة لم تعرف له مثيلاً »[1] .

هذه هي أحداث حروب الرِّدَّة كما جاءت في مصادرنا العربية الإسلامية الصحيحة والمعتمدة ، أوردناها كما جاءت في هذه المصادر ، متَّخذين كتاب (البداية والنهاية) أساساً لبناء هذه الأحداث .

---

(١) القول للبروفسور بورسوت سميث ، في كتابه :
Mohammed and Mohammadanism , p. 340

هذه الأحـداث التي خطـط لمواجهتهـا أبو بكر الصـديق رضي الله عنه بدقة وحكمة متناهيتين .

أبـو بكر الـذي كانت صـورتـه في الأذهـان قبـل حروب الردة : طـاعـة وتقـوى ، إيمـان وذكر ، خشيـة ودمـوع ، قيـام وتهجُّـد ، رِقَّـة ونعومة ، حتى سُمِّي : « نحيف بني تيم »[1] .

---

(١) عن مِسْوَرِ بن مَخْرَمة قال : خرجنا حُجَّاجاً مع عمر بن الخطـاب ، فنزلنـا الأبواءَ ، فـإذا نحن بشيخ على قـارعـة الطريق ، فقـال الشيخ (وهو أبو عقِيل المُلَيْلي) : أفيكم رسـول الله ﷺ ؟ فقـال عمر : أمسكـوا لا يتكلَّمَنَّ أحـد ، ثم قـال : أتعقـل يـاشيـخ ؟ قـال : العقـل سـاقني إلى هـاهنـا ، وقـال لـه عمر : متى توفي النبي ﷺ ؟ قـال : وقـد توفي ؟ قـال : نعم ، فبكى حتى ظننا أنَّ نفسَه ستخرج من بين جنبيه ، قال : فمن وَلِي الأمر بعده ؟ قال : أبو بكر ، قال : **نحيف بني تَيْم** ؟ قال : نعم ، قال : أفيكم هو ؟ قال : لا ، قال : وقد توفي ؟ قـال : نعم ، قـال : فبكى حتى سمعنـا لبكائـه نشيجـاً ، قـال : فمن وَلِيَ الأمرَ بعـده ؟ قـال : عمر بن الخطـاب ، قـال : فـأين كانـوا عن أبيض بني أُميَّـة ؟ - يريـد عثمان - فإنـه كان ألين جـانبـاً وأقرب ، قال : قد كان ذاك ، قال : إن كانت صداقـة عمر لأبي بكر لَمُسْلِمَتَـهُ إلى خير ، أفيكم هو ؟ قال : هو الذي يكلمك منذ اليوم ، قال ؛ فَأَغِثْني ، فإني لم أجد مُغيثـاً ، قـال عمر : من أنتَ بَلَغَـكَ الغوثُ ؟ قـال : أنـا أبو عَقِيل أحـد بني مُلَيل ، لقيت رسول الله ﷺ على ردهـة - أكمة كثيرة الحجارة - بني جعل ، دعاني إلى الإسلام فآمنت به ، وسقـاني شربـة من سَوِيق ، شرب رسول الله ﷺ أوَّلهـا وشربت آخرهـا ، فـا بَرِحت أجـد شِبَعهـا إذا جُعتُ ، وَرِيَّهـا إذا عَطِشْتُ وبردَها إذا ضَحَيت - إذا برزت الشمس - ثم تيممت في رأس الأبيض بقُطَيْعَـة غنم لي ، أُصلي وأصوم رمضان ، حتى أَلَمَّتْ بنا هذه السَّنة ، فما أبقت منهـا إلا شـاة واحـدة كنـا ننتفع بدِرِّتها - اللبن إذا كثر وسال - ، فعَيَّبها الذئب البارحة الأُولى ، فأدركنـا ذَكَـاتَهـا ، وبلغنـاك ببعض ، فـأَغِثْ أغـاثـك الله عز وجـل ، فقـال عمر : بَلَغَـكَ الغـوثُ أدركني على المـاء . قـال المِسْوَر : فنزلنا المنزل ، وكأني أنظر إلى عمر مُقْعِياً على قارعة الطريق آخـذاً بزمـام نـاقتـه ، لم =

أبو بكر الذي أضاف إلى هذه الصورة في حروب الردة : [من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات] ، [والله لو منعوني عَنَاقاً كانوا يؤدُّونه لرسول الله ﷺ لأُقاتلنَّهم على منعها ، إنَّ الزكاة حق المال ، والله لأُقاتلن مَنْ فرَّق بين الصلاة والزكاة] . فمثَّل العزيمة والصدق والإخلاص .

وهذه الصورة لم تكن غائبة أيام رسول الله ﷺ ، بل كانت في طور التلقّي والأخذ .

لقد كان أبو بكر أيام رسول الله ﷺ ينهل بصمت وعمق من ينابيع النبوَّة ، نهل ورشف : حكمةً وإيماناً ، يقيناً وعزيمة ، تقوى وإخلاصاً ، فإذا هذه الصورة تثمر : صلاحاً وصِدِّيقيَّة ، ذكراً ويقظة ، حُبّاً وصفاء ، عزيمة وتصميماً ، إخلاصاً وسلوكاً ، فهماً وتطبيقاً ، فأصلح مافسَد ، وبنى ماهُدِم ، وجمع ماتفرَّق ، وقوَّم ماانحرف .

وانتصار المسلمين على المرتدين ، انتصار الإخلاص والعقيدة

= يطعم طعاماً ، بل ينتظر الشيخ ومن معه ، فلما رَحَلَ الناس دعا عمر صاحب الماء ، فوصف له الشيخ وقال : إذا أتى عليك فأنفق عليه وعلى أهله حتى أعود إليك إن شاء الله عز وجل . قال المسور : فقضينا حجنا وانصرفنا ، فلما نزلنا المنزل دعا عمر صاحب الماء وسأله عن الشيخ ، فقال : أتاني وهو مَوْعُوك فمرض عندي ثلاثاً ، فمات فدفنته ، وهذا قبره ، قال : فكأني أنظر إلى عمر وقد وثب حتى وقف على القبر ، ثم اعتنقه وبكى ، وحمل أهله معه ، فلم يزل ينفق عليهم حتى قُبض ، [أُسد الغابة : جـ ٦ ص ٢٢١] .

السليمة على الرعونة والعصبيَّة ، وانتصار الطاعة على المعصية ، وانتصار الانقياد لأمر الله عز وجل ، على التمرد والدجل ، وانتصار الإيثار على الأنانيَّة ، وانتصار وحدة الكلمة على الفرقة والتشتت ، فنقل الصِّدِّيق العرب بالإسلام من جحيم مستعر أراده المرتدون ، إلى فردوس مزدهر أراده محمد رسول الله ﷺ .

☆ ☆ ☆

أبو بكر جغرافي دقيق :

أبو بكر جغرافي دقيق ، خبير بالتضاريس والتَّجَمعات البشرية ، ومواصلات جزيرة العرب ، فكأن مصوَّر الجزيرة مجسَّم واضح نصب عينيه في غرفة عمليات مجهَّزة بأحدث وسائل التقنية ، فمن يتمعَّن المصوَّر وتسيير الجيوش ووجهة كل منها ، واجتماعها بعد تفرقها ، وتفرقها لتجتمع ثانية .. يرى تغطية سليمة رائعة صحيحة مثالية لجميع أرجاء الجزيرة ، مع دِقَّة في الاتصال مع هذه الجيوش ، فأبو بكر في كل ساعة يعلم أين مواقع هذه الجيوش ، ويعلم دقائق أمورها وتحرُّكاتها ، وما حقَّقت ، وما عليها في غد من واجبات .

المراسلات : دقيقة وسريعة ، تنقل إلى مقر القيادة في المدينة حيث الصِّدِّيق أخبار الجبهات :

كان أبو بكر رضي الله عنه على اتصال دائم ومستمر مع جيوشه كلها ، تصله أخبارها بانتظام وبشكل سريع ، وبرز من الرُّسُل ما بين الجبهات وبين مقرِّ القيادة : أبو خيثمة النَّجَّاري ، وسلمة بن سلامة ، وأبو برزة الأسلمي ، وسلمة بن وقش . ومن هذه المراسلات :

١ً - كتب أبو بكر إلى شرحبيل بن حسنة : « ابقَ حيث أنت حتى يأتيك أمري »[١] .

٢ً - وكتب رضي الله عنه إلى طريفة بن حاجز : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبي بكر الصِّدِّيق خليفة رسول الله إلى طريفة بن حاجز : سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاَّ هو ، وأسله أن يصلي على محمد ﷺ ، أما بعد ، فإن عدو الله الفجاءة أتاني فزعم أنه مسلم وسألني أن أُقويه على قتال من ارتد عن الإسلام ، فقويته ، وقد انتهى إليَّ الخبر اليقين أنَّه قد استعرض المسلم والمرتد ، يأخذ أموالهم ، ويقتل من امتنع منهم ، فَسِر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأسره فتأتيني به في وثاق إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله »[٢] .

---

(١) الطبري : جـ ٣ ص ٢٨١ .

(٢) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٧ / أ .

٣ً ـ وكتب عكرمة بن أبي جهل إلى أبي بكر الصِّدِّيق بالذي كان من أمره ، عندما عَجَّل وحارب مسيلمة قبل وصول خالد فَنَكِب ، فكتب إليه أبو بكر : « ياابن أُمّ عكرمة ، لاأَرَينَّكَ ولا تراني على حالها ، لاترجع فتوهن الناس ، امضِ على وجهك حتى تساند حُذيفة وعَرْفجة ، فقاتل معهما أهل عُمَان ومَهْرة ، وإن شُغِلا فامضِ أنتَ ، ثم تسير وتسَيِّر جندك تستبرئون مَنْ مررتم به ، حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أُميَّة باليمن وحضرموت »[1] .

٤ً ـ وكتب الصِّدِّيق إلى حذيفة وعرفجة أن ينتهيا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ من السَّير من عُمَان ، أو المقام بها .

٥ً ـ وكتب رضي الله عنه إلى الأُمراء والرؤساء من أهل اليمن أن يكونوا عوناً إلى فيروز على قيس بن مكشوح حتى تأتيهم جنوده سريعاً .

٦ً ـ وكتب الصِّدِّيق إلى خالد حين جاءه خبر انتصار المسلمين على طليحة : ليزدك ماأنعم الله به عليك خيراً ، واتقِ الله في أمرك ، فإن الله مع الذين اتَّقَوا والذين هم محسنون ، جِدَّ في أمر الله ، ولا تلن ، ولا تظفرن بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلاّ قتلته ونكّلت به غيره ،

(١) الطبري : جـ ٣ ص ٢٨١ .

ومن أخـذت ممن حـاد الله أو ضـادّه ممن ترى أن في ذلـك صلاحـاً فاقتله »[1] .

٧ ـ وبعـد انتصـار المسلمين على أُمِّ زمـل ومن معهـا من بني سليم وهوازن وأَسد ، كتب خالد بالفتح إلى الصديق رضي الله عنه .

٨ ـ وبعد انتصار خالد في بُزاخة كتب إلى أبي بكر أيضـاً ، فكتب الصِّدِّيق إلى خالد : « من أبي بكر إلى خالد ، أمـا بعـد ، فقـد جـاء في كتابك مع رسولك تذكر ماأظفرك الله بأهل بُزَاخة ، وما فعلت بـأسـد وغطفان ، وإنك سائر إلى اليامـة ، وذلـك عهـدي إليـك ، فـاتقِ الله وحده لا شريك لـه ، وعليـك بـالرفق بمن معـك من المسلمين ، كن لهم كالوالد .. »[2] .

٩ ـ وجاء في الاكتفاء : أمر أبو بكر خـالـداً أن يمضي بمن معـه من المسلمين حتى يقـدم اليامـة ، فيبـدأ ببني حنيفـة ومسيلمتهم الكـذاب ، فيـدعوهم ويـدعوه إلى الإسلام ، وينصـح لهم في الـدين ، ويحرص على هداهم فإن أجابوا إلى مادعاهم إليه من دعـايـة الإسلام قَبِلَ منهم وكتب بذلك إليه وأقام بين أظهرهم حتى يأتيه أَمْرُه[3] .

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣١٨ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٦٣ .

(٢) ورد نص الرسالة كاملاً خلال صفحات الكتاب .

(٣) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٤ / ب .

١٠ ـ ولما انقطعت الحرب بين خالد وبين أهل اليمامة ، تحوَّل من منزله الذي كان فيه إلى منزل آخر ينتظر كتاب أبي بكر يأمره أن ينصرف إليه بالمدينة[١] .

١١ ـ وقال أبو بكر لوفد بني حنيفة : أما إني قد كتبت إلى خالد كتاباً في إثر كتاب آمُرُه أن لا يستبقي من بني حنيفة أحداً مُرَّت عليه الموسى .

١٢ ـ وأرسل خالد بالفتح يوم اليمامة مع أبي خيثمة النَجّاري ، وكتب الصِّدِّيق إلى خالد مع سلمة بن سلامة : يا خالد بن أُمِّ خالد ... وكتب خالد جواباً كتاباً للصديق ، حمله أبو برزة الأسلمي .. أوردنا نَصَّه خلال صفحات الكتاب .

وكتب خالد إلى أبي بكر لما عاتبه في خدعة مُجَاعة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لأبي بكر خليفة رسول الله من خالد بن الوليد ، أمَّا بعد ، فإني أُقسم بالله إني لم أُصالحهم حتى قَبل من كُنْتُ أقوى به ، وحتى عجف الكراع ، وهلك الخف ، ونهك المسلمون بالقتلة والجراح .. »[٢] .

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٥ / ب .

(٢) الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٥ / أ .

هذه بعض نماذج المراسلات الدائمة التي جعلت الصِّدِّيق على اتصال دائم بجنده ، وفي موقف المطَّلِع على دقائق أُمورهم وأخبارهم وأَحوالهم ، فتابعهم بالتوجيه والتنسيق بين الجبهات .

☆ ☆ ☆

« نُصُوصُ الرِّدَّةِ في تاريخ ٱلطَّبَري ، نقد وتحليل » :

جاء في كتاب « نصوص الرِّدَّة في تاريخ الطبري ، نقد وتحليل »[1] ، تساؤلات أجاب عنها مؤلِّف الكتاب بشكل بَعُدَ به عن الحقيقة بعد المَشْرِقَيْن ، نجملها فيما يلي ، موضِّحين الحقائق إن شاء الله في نقاط ثماني :

« أ »

يقول المؤلف : هل من المعقول أن يقوم هؤلاء المسلمون المعتنقون للإسلام عن قناعة ورضاً وتصديق ، بحمل راية الارتداد عن الدين ؟

وهل من المنطقي ، أن يبادر للارتداد أولئك الذين كانت مساكنهم بعيدة عن دائرة الحركات العسكرية ، ولم يصلهم جندي واحد من جنود الإسلام ، وإنَّما كان إسلامهم بمحض رغبتهم واندفاعهم

(١) الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ ، مكتبة النهضة (بغداد) .

وتصديقهم مجرّداً عن كل لون من ألوان التأثير والتوجيه ، إلاَّ تأثير البرهان وتوجيه الدين ؟

لقد جاءت صياغة هذا التَّساؤل بعيدة عن الواقع ، مما جعلها توحي بجواب خاطئ ، فالمسلمون الذين ارتدوا عن الإسلام ارتداداً جزئياً أو كلياً ، لم يكونوا أبداً من المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام عن قناعة ، لأن ظروف اعتناقهم للإسلام تختلف عن ظروف اعتناق أهل الحجاز للإسلام ، فقد جاءهم الإسلام في الأشهر الأخيرة من حياة رسول الله ﷺ ، ولم يعيشوا مع رسول الله ﷺ ، أو مع صحابته الأُوَل ليتعرَّفوا إلى الإسلام وتعاليمه عن قرب ، فلم يعيشوا الإسلام سلوكاً وعملاً وأخلاقاً ، بل كان إسلامهم إسلاماً أعرابياً ، أي : إسلام « الأعراب » الذين لم يعرفوا من الإسلام إلاّ كلمات فاهوا بها لسبب من الأسباب التي كانت تؤثِّر على نفسية الأعرابي ، فإذا اعتنق شيخ قبيلته الإسلام ، تابعه على ذلك دون أن يعرف من الإسلام إلاّ القليل من تعاليمه ، فأين هؤلاء الأعراب الذين بَعُدَت ديارهم عن ديار الحجاز ، أي عن ديار مهبط الوحي ، ومنزل رسول الله ﷺ ، وعن أماكن تلامذة مدرسة الإسلام الأُولى ، من أولئك الصحابة الذين عاشوا الإسلام حياة وسلوكاً ، وكلما انحرف أحدهم ، أو عاد بعمل أو بكلمة إلى طريق الجاهلية أو العصبيَّة ، ردَّه رسول الله ﷺ إلى جادة الإسلام ، منبِّهاً وموضِّحاً ومحذِّراً ؟

أما أن إسلام هؤلاء الذين كانت مساكنهم بعيدة عن دائرة الأعمال والحركات العسكريَّة ، فليس هو الدليل على أن إسلامهم كان بمحض الرغبة والاندفاع والتصديق مجرّداً عن كل لون من ألوان التأثير والتوجيه ، إلا تأثير البرهان ، وتوجيه الدليل .

لقد فات على من يقول ذلك ، واقع الأعراب يومئذ ، وهم أولئك البداة الذين لا تأثير عليهم إلاَّ من خلال أقنية العصبيَّة القبليَّة ، إن الكلام الذي ذكره المؤلِّف ، يقوله إنسان عن مجتمع في عصرنا هذا ،حيث تقدمت العلوم العقلية ، ووصلت أجهزة الإعلام كل غرفة في كل بيت ، بينما لم يكن الأعرابي في تلك الأَيّام ينظر إلاّ من خلال عصبيَّته القبلية[1] ، فهو يعيش من أجلها ، ويموت في سبيلها ، ويؤمن بما تُؤْمِنُ به ، ويرفض ما ترفضه ، وإلاّ كان مطروداً منها ، فحياته مرتبطة بقبيلته ، ولذلك جاء إسلامه من خلال إسلام شيخ القبيلة ، وارتداده كان على نفس السبيل .

---

(١) العصبيَّة القبلية : أمر طبيعي ، ونتيجة حتميَّة لبيئة العربي ، هذه البيئة الصحراويَّة التي فرضت العزلة والتزام الفرد بقبيلته ، فلم يعرف العربي مطلقاً التزاماً بحكومة مركزيَّة تجمع القبائل كلها تحت كنفها قبل الإسلام .

فلقد كانت القبيلة حياة الفرد وكيانه ، فقدَّسها ، وسيطرت عصبيتها على نفسه دونما أيِّ شيءٍ آخر ، وقد يتسامح العربي (الجاهلي) في دينه ، أما عصبيَّة قبيلته فلا ، يقول دريد بن الصِّمَّة :

وما أنا إلا من غزيَّة إن غَوَتْ ... غويتُ وإن ترشد غزيَّة أرشد

فلا يهمه إن ضلَّت أو رشدت قبيلته ، فهو منها وإليها .

وإذا أراد إنسان اليوم أن يكتب عن حركة الرِّدَّة في أنحاء جزيرة العرب ، فعليه أن يعود إلى أماكن الرِّدَّة أرضاً وزماناً وواقعاً ، ليستطيع أن يتعرَّف إلى الأسباب الحقيقيّة ، أما أن تكون دراسته من خلال منظار اليوم ، فهذا لا ينطبق في حال من الأحوال على تلك الفترة ، ولذلك تأتي النتائج مغايرة للحقائق كما كانت ، بعيدة كل البعد عن الواقع .

إن أهم ما يميِّز حياة العرب في صحاريهم وبواديهم يومئذ ، إنما هو العصبيَّة القبليَّة ، من خلالها نفهم أفكارهم وطباعهم وعلاقاتهم الاقتصادية والسياسية والفكرية .. هؤلاء الذين يقول رجلهم لمسيلمة الكذاب : أشهد أنَّك كذَّاب ، وأنَّ محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر ، واتَّبعه هذا الأعرابي حتى قُتِلَ معه يوم عقرباء ، فهؤلاء لا يُقال عنهم بأنَّهم آمنوا بالبرهان والدليل ، وعن قناعة ورضاً .

أَما قال عيينه (الأحمق المطاع) لقومه : والله لنبيّ من بني أسد أَحب من نبيّ من بَنِي هاشم ، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتَّبِعوه ؟

إن العصبيَّة القبليَّة التي أعمت بصائر أبنائها وجعلتهم لا يرون الحقَّ إلا من خلالها هي العمود الفقري في دراسة أَيَّة ناحية من نواحي الحياة لدى العرب في تلك الحقبة من تاريخهم ، العصبيَّة القبليَّة هي

قطب الرحى في حياة العرب السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والفكريَّة ، فكيف نغض الطرف عنها ونحن نقوم بدراسة حركة الارتداد ، وأهم عامل فيها هو عامل العصبيَّة القبليَّة ؟ .

فإسلام بعض القبائل اتباع سريع بعد فتح مكة وصدى تحطيم الأصنام وإسلام قريش وثقيف ، فمكة أكبر بكثير من مدينة في الحجاز ، إنَّها مركز البيت الحرام ، ومجمع العرب ، ومقرُّ قريش سيِّدة القبائل العربيَّة ، وولاة الكعبة وسدنتها ، فجاءت القبائل طائعة (سياسياً) ، لكنها لم تحظ بفترة كافية من التربية والتزكية والصُحْبَة والتَّعَلُّم والتَّفَقُّه ، مما سَهَّل على بعضها الارتداد ، ومعنى هذا أن القبائل التي أرسلت وفوداً تعلن إسلامها مافهمت ما هو الإسلام بشكل كامل ، وأنها لم تلم بروحه ، ولم تتمثَّل تعاليمه .

وتنبَّه رسول الله ﷺ إلى الأمر ، فأرسل معاذَ بن جبل إلى اليمن مُعَلِّماً ، وعمرو بن العاص إلى عُمَان مُعَلِّماً ، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين مُعَلِّماً ..

إن الوفود التي جاءت إلى المدينة المنوَّرة تعلن إسلامها ، لا نلمس عندها تلك الحماسة الدافقة التي كنا نجدها لدى السابقين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار ، إلاّ أنَّه ظهر من بينهم من زاد في صفوف المسلمين الصادقين الخُلَّص ، مدفوعين بإيمان صادق متين في إعلاء شأن الإسلام ،

ومستعدِّين بحقّ وإخلاص لبذل نفوسهم في سبيل نشر الإسلام بين إخوانهم . فعند وفاة رسول الله ﷺ لم يكن الإسلام عقيدة وفكراً قد تغلغل في قلوب وعقول الغالبية الكبرى من أعراب شبه جزيرة العرب ، وهذا لا يعني أن المُعَلِّمين الذين أُرْسِلُوا لم يثمروا شيئاً ، وأن كل من ورد عام الوفود إلى المدينة لم يُسْلِم بشكل صحيح .

جاء في البداية والنهاية[1] : « مامن ناحية من جزيرة العرب إلاَّ وحصل في أهلها رِدَّة لبعض الناس ، فبعث الصِّدِّيق إليهم جيوشاً وأُمراء يكونون عوناً لمن في تلك الناحية من المؤمنين » ، لذلك لم تكن الرِّدَّة عامة ، وبدليل :

١ ـ « اختلفت آراء بني تميم ، فمنهم من ارتد ومنع الزكاة ، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصِّدِّيق ، ومنهم من توقَّف لينظر في أمره »[2] .

٢ ـ « واجتمعت ربيعة في البحرين على الرِّدَّة ، إلاّ الجارود ومن تبعه ، وثبت الجارود وعبد القيس على الإسلام »[3] .

٣ ـ « فلما كان العلاء بن الحضرمي بجيال اليمامة لحق به أثال

(١) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٣٢ .
(٢) البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٠ .
(٣) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٩ .

الحنفي من مسلمة بني حنيفة ، ولحق بـه أيضـاً قيس بن عـاصم ، وانضم إليـه عمرو والأبناء وسعـد بن تميم والربـاب أيضـاً ، لحقتـه في مثـل عُدَّته »[1] .

٤ ـ « ارتد أبو شجرة بن عبـد العزى السلمي فيمن ارتـد من سليم ، وثبت بعضهم على الإسلام مع معن بن حاجز »[2] .

٥ ـ « استقبل قومٌ من تميم منهم وكيع بن مالك وسماعـة ، خـالـداً بالصدقات »[3] .

٦ ـ « فـارتـد وديعـة الكلبي فيمن تبعـه ، وبقي امرؤ القيس على دينه ، وارتد زميل بن قطبة القيني وبقي عمرو بن الحكم »[4] .

٧ ـ كتب العلاء بن الحضرمي إلى من ثبت على إسـلامـه من بكر بن وائل منهم عتيبة بن النهاس والمثنّى بن حارثة الشَّيْبَانِي وغيرهـا ، وذكر ابن خلدون أيضاً (خصفة التيمي) ، يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتـدّين بكل طريق ، ففعلوا ، وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك[5] .

---

(١) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٢) الاكتفـاء : جـ ٢ ص ١٧ / أ و ب ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٦٦ ، الكامـل في التـاريـخ : جـ ٢ ص ٢٣٧ ، ومعن بن حاجز كان أميراً لأبي بكر .

(٣) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤١ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٢ .

(٤) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٣١ .

(٥) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٥١ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٧ .

٨ ـ وفي عُمَان جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صُوحان وغيرهم ، فقوَّى الله المسلمين بهم ، ووهَّن بهم أهل الشرك[1] .

٩ ـ وأما أهل نجران ، فلما بلغهم موت رسول الله ﷺ ، وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل ، أرسلوا وفداً ليجدِّدوا عهدهم مع أبي بكر ، فكتب بذلك كتاباً[2] .

١٠ ـ وأمَّا بجيلة ، فإن أبا بكر ردَّ جرير بن عبد الله ، وأمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ، ويقاتل بهم من ارتد عن الإسلام ، وفعل ما أمره ، فلم يقم له أحد إلا نفر يسير فتتبَّعهم[3] .

١١ ـ وفي اليمن لم يرتد أحد من الأَبْنَاء ، « لم يرجع رجل واحد من تجيب ولا همدان ، ولا من الأبناء بصنعاء »[4] .

١٢ ـ ولم ترتد عبس ولا بعض أشجع ، وارتدت عامة بني تميم ، وطوائف من بني سُلَيم ، وأقامت طيء على الإسلام : « فلم يرتد من

---

(١) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٥٣ .

(٢) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٥٤، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٦٨ .

(٣) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٥٥ .

(٤) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٢ / ب .

طيء رجل واحـد »[1] ، « ولم يرجـع رجـل واحـد من دوس ولا أهـل السراة كلها » ...

فالارتداد حصل لا شـك ، ولكن ليس من قبل من اعتنق الإسلام عن قنـاعـة ورضـاً ، وهـؤلاء الـذين كانت مسـاكنهم بعيـدة عن دائرة الحركات العسكرية ، ارتد منهم من ارتد ، إما عصبية وقبائلية ، وإمـا لأنّـه في الأصل مـا اعتنق الإسلام عن دراسـة وقنـاعـة وتربيـة وتزكيـة وصحبة ، أمّا من جاء رسول الله ﷺ صادقـاً ، ولازم من أرسلـه رسول الله ﷺ مُعَلِّماً مُفَقِّهـاً ، فهـذا بقي على إسـلامـه لا شـك ، وكان مخلصـاً للإسلام ، وقام في وجـه من ارتـد من ذويـه ، لأن الإسلام الصـادق في قلبه أزال رابطة الدم ، وحلَّ مكانها رابطة العقيدة والإيمان ، ومـا سبق من نصوص خير شاهد ، وأقوى برهان ، وأوثق دليل .



« ٢ »

☆ ويقول صـاحب الكتـاب : هـل جـاءهم طليحـة أو مسيلمـة أو سجاح بمعجزة أسمى ، أو خارق عادة أقوى من ذلك الذي جاءهم به محمد ﷺ حتى يتخلّوا عن الإسلام ويتبرّؤوا منه ؟

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٥ / أ .

وهل جاءهم طليحة أو مسيلمة أو سجاح بكلام أبلغ من القرآن ، وأكثر منه بهاءً وروعةً وطلاءً أو جمالاً ، فيحملهم على الارتداد واستبدال شيء مكان شيء ؟

وهل تَرَدَّى الذوق العربي وقد كان في قمة البلاغة إذ خاطبه الله تعالى بمعجزة البيان البليغ ، حتى استقر في مثل هذا الحضيض ؟

وهل فقدت هذه الأُمَّة فهمها ومعرفتها وقوَّة تمييزها ، حتى أصبح لديها هذا الهراء ، مثال البلاغة المتناهية التي تحمل العربي على رفض دينه السابق إقراراً بإعجاز هذا الكلام الساقط المرذول ؟

وكيف يصح من هذه الأُمَّة العريقة المجيدة الواعية ، أن تترك كل أفكار القرآن ، وكل أفكار محمد - ﷺ - وكل ما تعلَّمته من أفكار الإسلام ، وتنساق طواعية وراء هذه السَّخَافات والتُّرَّهات والتعابير الحمقاء ؟

وهل يستطيع أَحَدٌ أن يعتبر هذه الأُمَّة أُمَّةَ إدراك وحضارة إذا كانت قد استبدلت ذاك الفكر المُشْرِق العظيم بهذا اللغو المقزِّز السخيف ؟ وإذا كنا لا نستطيع المقارنة بين بلاغة القرآن وكلام هؤلاء ، وبين أفكار الإسلام وأفكار هؤلاء ، فهل هناك مجال للمقارنة - وأستغفر الله والضمير من هذا التعبير - بين شخصيَّة محمد - ولنفرض

محمداً قبل أن يبعث نبيّاً ـ وبين تلك الشخصيات المهزوزة التي نسب إليها الطبري دور قيادة الأُمّة في رِدّتها ؟

☆ مستغرب جداً أن تخطر مثل هذه الأفكار في ذهن دارس لتاريخ العرب في الجاهليّة وصدر الإسلام ، ولا أعتقد إلاّ أن في الأمر تجاهلاً مقصوداً ، لا أدري الدوافع الحقيقيّة إليه ، وإلا فهل يمكن أن يقبل إنسان درس التاريخ العربي مثل هذه الأقوال ؟! وهل كان أهل اليمامة وحضرموت وقبائل هؤلاء المتنبئين بحاجة إلى معجزة أو دليل أو بلاغة عربيّة ، وإعجاز خارق حتى يتركوا الإسلام ويتابعوا طليحة ومسيلمة وسجاحاً ؟ لا يقول ذلك مَنْ درس التاريخ العربي بعمق ، وعرف عمق آثار العصبيّة القبليّة فيهم ، فضلاً عن كون الإسلام بالنسبة لهم من الأُمور الجديدة التي لامست أسماعهم دون أن تدخل إلى الأعماق ، فهم ليسوا في حالة رفض دين سابق أبداً ، وخير ما نستشهد به عن هذا الواقع عندهم ، ما ورد بوصفهم في قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلأَعْرابُ آمَنّا ، قُلْ لَمْ تُؤمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُمْ ﴾ ، [الحجرات : ٤٩] .

ولشدة العصبيّة القبليّة عند الأعراب في تلك الفترة ، كانوا يقعون بالكفر والنفاق والابتعاد عن الحق ، فهم كما وصفهم ربُّ العزّة : ﴿ الأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً وَأَجْدَر أَلاّ يَعْلَموا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى

رَسُولِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، [التوبة : ٩٧] ، فأيٌّ وصف أكثر دِقَّة وواقعيَّة من هذا الوصف الإلهي الذي يوضِّح لنا حالة الأعراب ونفسيتهم ، ويفسِّر لنا حركة الارتداد ؟ فهل بعد هذا القول يمكن أن نتساءل عن البرهان والدليل والإعجاز ؟!

ونعود لنجيب على تساؤل الكاتب فنقول : لا ، إن الأعراب لم يفقدوا الفهم والمعرفة وقوة التمييز ، لكنهم يسلكون في طرق الفهم والمعرفة والتمييز قنوات قبليَّة ، فالعصبيَّة تُعْمي وتُصِم ، وتجعل صاحبها ينحرف عن جادة الفهم والمعرفة والتمييز ، وحين كانت هذه العصبيَّة ترفع رأسها لدى أحد الصحابة ، سرعان ما كان رسول الله ﷺ يرشد إلى الخطأ في سلوك طريقها ، ويقول لصاحبها : أنت امرؤ فيك جاهلية ، فالعصبيَّة القبليَّة بشكلها الذي رأيناه تسوق صاحبها إلى جهل وجهالة ، وتعيده إلى ما كان عليه العرب في الجاهلية من تجنُّب طريق الحق بتأثير منها .

ونضيف :

١ - هل أفادت بلاغة القرآن الكريم ، وهي تنطلق نَدِيَّة بنورانيَّة خاصة من فم رسول الله ﷺ أبا لهب وأبا جهل وعتبة وشيبة وأمثالهم ؟

٢ - وهل نفعت بلاغة القرآن الكريم وحكمه ومعجزاته المنافقين في المدينة المنوَّرة برئاسة عبد الله بن أُبي بن سلول ؟

٣ ـ وهل كانت معجزات رسول الله ﷺ ناقصة وغير كافية ، وقد رآها المنافقون بأُمِّ أعينهم في كل غزوة وبخاصة في فتح مكة وفي تبوك ؟ حاشا لله عز وجل ، لكنها النفوس المريضة المنافقة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ، خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، [البقرة : ٦ و ٧] .

٤ ـ ومعظم من ارتد ما وفد على رسول الله ﷺ مطلقاً ، فلما رؤوا بعض شعوذات مسيلمة (رحمان اليمامة) ، والأسود العنسي (رحمان اليمن) ، تبعوهما ودهشوا بما رأوا[1] .

٥ ـ وكم سَحَرَ الأتباعُ وغير الأتباع مما قدَّمه مسيلمة وطليحة ، ولكن « كذاب ربيعة خير من صادق مضر » ، حتى عيينة « الأحمق المطاع » قال لطليحة : هل جاءك جبريل ؟ قال في الثالثة : نعم ، قال : فما قال لك ؟ قال : قال لي : إنَّ لك رحى كرحاه ، وحديثاً لا تنساه ، فقال عيينة : أظن أن قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه ، ثم قال : يا بني فزارة ، انصرفوا ، وانهزم الناس عن طليحة .

(١) كحمار العنسي المُعَلَّم ، كان يقول له : اسجد لربِّك فيسجد ، ويقول له : ابرك ، فيبرك . فتوح البلدان : ١١٣ ، وهذا يحدث أعظم منه في كل « سيرك » في العالم كل يوم ، وهذا يتم بالتدريب والترويض .

أمَّا أبو بكر رضي الله عنه فقد قال لوفد بني حنيفة : أَسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة ، فقالوا : أوَ تعفينا يا خليفة رسول الله ؟ وهذا يدل بوضوح على خجلهم وحرج موقفهم ، وسخف ماسيقولونه قبالة عظمة القرآن الكريم : « أَوَ تعفينا يا خليفة رسول الله ؟ » ، فقال رضي الله عنه : لابُدَّ من ذلك ، فذكروا وقرؤوا بعضاً مما قاله مسيلمة ، فقال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ويحكم أيُّ كلام هذا ؟!

وعمرو بن العاص لما قَدِمَ على مسيلمة تلا عليه سورة : ﴿ وَالعَصْرِ ، إنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ .. ﴾ قال عمرو : ففكر مسيلمة ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : ولقد أُنزل عليَّ مثلها ، فقال له عمرو : وما هي ؟ فقال مسيلمة : يا وبر يا وبر ، إنَّما أنت إيراد وصدر ، وسائرك حفر نقر ، ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنَّك لتعلم أني أعلم أنَّك تكذب .

وقال مسيلمة لأتباعه قبيل اليمامة : قاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم ، أي لا دين في الأمر ولا فكر ولا عقيدة ، إنَّها العصبيَّة ليس غير .

وخالد بن الوليد لما ذكر مُجَاعة بن مرارة الحنفي شيئاً من رجز مسيلمة ، ضرب خالد بإحدى يديه على الأُخرى وقال : يا معشر المسلمين ، اسمعوا إلى عدو الله كيف يعارض القرآن ، ثم قال خالد :

ويحك يا مجاعة ، أراك سيداً عاقلاً ، اسمع إلى كتاب الله عز وجل ، ثم انظر كيف عارضه عدو الله ، فقرأ عليه خالد : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ ، فاعترف مجاعة أن رجلاً من أهل البحرين كان يكتب لمسيلمة ، وكان يخرج إلينا فيقول : ويحكم يا أهل اليمامة ، صاحبكم والله كَذَّاب .

ولما قال خالد لمجاعة : لشد ما تحب قومك[1] ! قال مجاعة : لأنهم حظّي من ولد آدم ، إذن الأمر أوضح من أن يُوَضَّح : « لأنهم حظّي من ولد آدم » ، عصبيَّة قبلية ، لا حكم لعقل أو فكر أو لذوق أدبي ، مع أن مجاعة : (سيد عاقل) كما قال خالد رضي الله عنه .

---

(١) « عَصَا الجَبَان أَطْوَلُ » : قال ابن عبيد : وأحسب إنما يفعل هذا لأنَّه من فشله يرى أن طولها أشدُّ تَرْهيباً لِعَدُوِّه من قِصَرِها ، وقد عاب خالد بن الوليد من الإفراط في الاحتراس نحو هذا ، لذلك يوم اليمامة ، لما دنا منها خرج إليه أهلُها من بني حنيفة ، فرآهم خالد قد جَرَّدوا السيوف قبل الدُّنُوّ ، فقال لأصحابه : أبشروا فإن هذا فشلٌ منهم ، أبشروا فقد كفاكم الله عدوّكم ، ماسَلُّوا السيوف من بعيد ، إلاّ ليرهبونا ، وإن هذا منهم لجبن وفشل . فسمعها مُجَاعة وكان موثقاً في حبسه ، فقال : كلا والله يا أبا سليمان ، ولكنها الهُندوانِيَّة (بضم الهاء وكسرها ، السيف المصنوع من حديد الهند) ، خشوا من تحطُّمها ، وهي غداة باردة ، فأبرزوها للشمس لتلين متونها . فلما تَدَانى القوم قالوا له : إنا نعتذر إليك يا خالد من سَلِّ سيوفنا حين سللناها ، والله ماسللناها ترهباً لكم ، ولا جبناً عنكم ، ثم ذكروا مثل كلام مُجَاعة . ومما قالوه : ولكنها اليمانيَّة لاتلين متونها حتى تَشْرَق (الشَّرَق : دخول الماء الحلق حتى يغص به) ، والكلام تمثيل : فسيوفهم لاتلين حتى تغرق في الدماء ، فقال خالد لمجاعة : لشد ماتحب قومك ! فقال مجاعة : لأنهم حظّي من ولد آدم ، [أُسد الغابة : جـ ٥ ص ٦٢ ، الاكتفاء : جـ ٢ ص ١٠/ب] .

والرَّجال بن عُنْفُوة ، كان من أشراف بني حنيفة ، كما قال ابن خلدون [جـ ٢ ص ٧٤] ، لذلك تَبِعَ مسيلمة ، فالعقل والإدراك الحق هنا معطَّلان تُجَاه العصبيَّة القبليَّة .

☆ ☆ ☆

« ٣ »

يقول المؤلف : ولو صَحَّت أنباء الرِّدَّة وأخبارها ، فأين كان منها زعماء الشعوبيَّة وقادتها ؟ وَلِمَ فاتتهم هذه الفرصة ولم يستغلوها طعناً وتجريحاً في عقلية هذه الأُمَّة ، وفي ركضها وراء التُّرَّهات والأباطيل ؟

جاء في الكامل في التاريخ [جـ ٢ ص ٢٣٦] : وكانت بنو عامر تقدِّم إلى الرِّدَّة رِجْلاً وتؤخِّر أُخرى ، وتنتظر ما تصنع أسد وغطفان ، فلما أُحيط بهم ، وبنو عامر على قادتهم وسادتهم ، كان قرة بن هبيرة في كعب ومن لافها ، وعلقمة بن علاثة في كلاب ومن لافها ، وكان أسلم ثم ارتد في زمن رسول الله ﷺ ولحق بالشام - أي لحق بالروم والعرب المتنصِّرة - بعد فتح الطائف ، فلما توفي رسول الله ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فبعث إليه سرية عليها القعقاع بن عمرو ، فأنهى حركته ، إذن لم تكن الجزيرة بمعزل عَمَّا حولها ، وهذا ما علمه المسلمون ولمسوه ، قالت عائشة رضي الله عنها :

« لما توفي رسول الله ﷺ ، نَجَمَ النفاق ، وارتدت العرب ، واشرأبَّت اليهود والنصرانيَّة ، وصار المسلمون كالغنم المُطَيَّن في الليلة الشاتية لفقد نبيِّهم حتى جمعهم الله على أبي بكر » ، ولكن الذي منع الفرس والروم من التدخُّل في أحداث الرِّدَّة :

١ ـ جيش أُسامة الذي خرج بعد وفاة رسول الله ﷺ ، أرهب الأعرابَ والرومَ معاً .

٢ ـ كما أرسل أبو بكر رضي الله عنه خالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش إلى الحمقتين من مشارف الشام .

٣ ـ وأرسل أبو بكر أيضاً عَمْراً بن العاص إلى تبوك ودومة الجندل[1] .

٤ ـ وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى البحرين (أي ساحل الخليج العربي الغربي كله) ، ثم تابع المثنَّى بن حارثة الشيباني إلى جنوب العراق بعد القضاء على رِدَّة البحرين .

٥ ـ سجاح « أُمُّ صادر » وقد كانت من نصارى العرب في العراق التي كانت تحت سيطرة الفُرْس ، أما ارتدت عائدة إلى العراق لما رأت

---

(١) حيث تجمَّعت بها طوائف من العرب المتنصِّرة ، ولما جاء خالد رفداً لعياض بن غنم ، أراد أمير دومة الجندل وهو أُكيدر بن عبد الملك أن يخرج منها ، فقتله قومه ، ففرق خالد جمعهم وقضى عليهم .

قوة المسلمين ؟ لقد هابها مسيلمة رغم قوته ، فاستأمنها مقابل جزية دفعها ، ثم انثنت راجعة إلى بلادها وذلك حين بلغها دنو خالد من أرض اليمامة ، فَكَرَّت راجعة إلى أرض الجزيرة بعد أن قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه[1] .

فالشعوبيَّة وقادتها على علم بما يدور في أرجاء الجزيرة العربيَّة ، ولم تفتهم هذه الفرصة عن طيب خاطر منهم ، ولكن المسلمين بقيادة أبي بكر كانوا على مستوى اليقظة والمسؤولية ، فحفظوا الحدود الشماليَّة بدقَّة ، فمن الشرق إلى الغرب على طول الحدود الشماليَّة المتاخمة للفرس والروم نجد العلاء بن الحضرمي ، وخالد بن الوليد شمال نجد ، ثم عمرو بن العاص في دومة الجندل ، وخالد بن سعيد بن العاص على مشارف الشام ، ناهيك عن جيش أُسامة ، فما هي نتيجة أيّ تحرُّك يقوم به الشعوبيون ؟

أما التجريح والطعن في عقليَّة هذه الأُمَّة ، وفي ركضها وراء التُّرَّهات والأباطيل ، فهذا لا يوجَّه لمن كان مع أبي بكر رضي الله عنه في جهاده ضد المرتدين ، يكون لأعراب ارتدوا ، وهؤلاء لا يجرَّحوا ، ولا يطعن بهم مِنْ قِبَلِ فرس أو روم ، لأنهم خدموا أغراضها . ومع ذلك ، الاستهانة في العرب عموماً كان واقعاً وحقيقة ، ولم ينقشع إلا

---

(١) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ٢٤١ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٣ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٧٤ .

بعد اليرموك والقادسيَّة ، وحوار رستم مع سفراء سعد بن أبي وقاص : ربعي بن عامر ، وحذيفة بن محصن ، والمغيرة بن شعبة .. معروفة مشهورة ، تجلَّت فيها استهانة الفرس قبيل القادسية بالعرب كُلاًّ .

☆ ☆ ☆

« ٤ »

☆ إن خطر الأسود العنسي وأتباعه المنتشرين في هذه المساحة الشاسعة من الأرض ، وفي هذه الرقعة الملتفَّة كالطوق على الحجاز ، أهم بكثير إلى أبعد حدود الأهميَّة من خطر الروم البعيد ـ هذا قول المؤلف ـ ، فلماذا بُعِثَ أُسامة إلى الروم ، لا إلى اليمن مثلاً ؟

لماذا لم يحارب رسول الله ﷺ الأسود العنسي ، ولم يرسل جيشاً لتأديبه وإرجاعه إلى الحظيرة الإسلاميَّة الموحَّدة ؟

ولماذا لم يوجِّه رسول الله ﷺ جيش أُسامة إلى مسيلمة بدل إرساله إلى مشارف الشام ؟

غريب عجيب هذا التساؤل !! لا شك إنَّه كلام من غير مختص عارف بأحداث الرِّدَّة ، فكتب التاريخ غنيَّة بالإجابات عن هذه التساؤلات .

أوَّلاً : تهيئة جيش أُسامة بن زيد أيام رسول الله ﷺ ، وتوجيهه

إلى مشارف الشام ردٌّ طبيعي على أحداث مُؤْتَة واستشهاد زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة ، فمؤتة حدث وقع قبل تنبُّؤ العنسي ، فمن باب أَوْلى إنهاء أثرها بسبب التسلسل الزمني .

وانفاد جيش أُسامة أيام أبي بكر ، أمر طبيعي ، إنَّه امتثال لأَمر رسول الله ﷺ ، فهو عمل ديني ، وهو لواء عقده ﷺ ، فمن يجرؤ على حَلِّه ؟

ثانياً : ومع ذلك ، من قال إن رسول الله ﷺ لم يهتم بأمر العنسي ، وأمر مسيلمة ، وأمر طليحة بن خويلد الأسدي ؟

١ ـ اتخذ رسول الله ﷺ إجراءات حاسمة ضد الأسود العنسي ، بعد أن أرسل إليه المسلمون في اليمن تحركاته ودعاواه بدقة تامة . فأرسل ﷺ قيس بن جبيرة لقتله وإنهاء حركته مستعيناً بالمسلمين الصادقين من الأبناء في صنعاء واليمن ذاتها . فاتصل بفيروز .. وكان ماذكرنا خلال صفحات هذا الكتاب ، فانتهت حركته خلال ثلاثة أو أربعة أشهر من ادعائه النبوَّة فقط .

٢ ـ ولما ظهر مسيلمة وقوي أمره أرسل رسول الله ﷺ فرات بن حيان العِجْلي إلى ثمامة بن أُثال في قتال مسيلمة وقتله ، فمن قال إن رسول الله ﷺ ترك مسيلمة ودَجَلَه وفتنته ؟

٣ ـ ولما ظهر طليحة ، وجَّه رسول الله ﷺ إليـه ضرار بن الأزور عاملاً على بني أسد ، وأمرهم بالقيام على من ارتـد ، فضعف أمر طليحـة حتى لم يبقَ إلاَّ أَخْذُهُ ، حتى جاء خبر رسول الله ﷺ .

فرسـول الله ﷺ لم يترك الأسـود العنسي ، ولا مسيلمـة ، ولا طليحـة ، أمـا من بعـده ﷺ فـأمر العنسي ومسيلمـة وطليحـة فمتروك للمسلمين ، وقد كانوا على مستوى المسؤولية .



« ٥ »

وتساءل المؤلف :

١ ـ هل ارتد مسيلمة في حياة رسول الله ﷺ ، أَمْ بعد وفاته ؟

٢ ـ وهل اجتمع برسول الله ﷺ ، أَمْ لا ؟

٣ ـ هل فرض رسول الله ﷺ له حقاً في المال ، ولماذا ؟

٤ ـ هل ادعى النبوّة ، أَمْ كان يؤذّن بأذان المسلمين ويصلّي صلاتهم ؟

وعلى ماسبق ، نجيب بما يلي :

١ ـ لم يرتـد مسيلمـة ، إنّـه مُتنبِّئ ، فهو لم يسلم أصلاً ، تنبّـأ أيَّـام رسول الله ﷺ ، وقـد أوردنـا رسـالتـه إلى رسـول الله ﷺ ، وجـواب رسول الله ﷺ إليه .

٢ ـ نعم ، اجتمع مسيلمة بالنبيّ ﷺ ، وطلب منه الحكم من بعده ، وكانت بيده ﷺ قطعة جريد ، فقال له ﷺ : « لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله .. » [١] .

٣ ـ نعم ، فرض له رسول الله ﷺ جائزة ، كأي فرد من أفراد بني حنيفة ، وهي جوائز الوفود التي كان يقدّمها رسول الله ﷺ لكل فرد من الوفود .

٤ ـ نعم ، ادعى مسيلمة النبوّة ، وكان له مؤذن يقول : إن مسيلمة كما يقول ويدّعي رسول الله ، وهو لم يصلّ صلاة المسلمين ولا غيرها ، ولكن أتباعه العوام أبقاهم على صلاتهم ، لأنّه لا يملك البديل ، وهو أعجز من أن يشرّع لهم ، أو يوجّه أو يخطّط ، فترك كثيراً من الأُمور الإسلاميّة على حالها ، وقد استهان بها لما أسقط عن بني تميم صلاة الصبح وصلاة العشاء .

وقال المؤلف : هل كان طليحة كاهناً أمْ مدّعياً للنبوّة ؟

إن طليحة مدّع للنبوّة ، لقول عيينة « الأحمق المطاع » : والله لنبيّ بني أسد ، أحب إلينا من نَبِيٍّ من بني هاشم .

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٨/أ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٤٩ و ٥٠ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٩٤ و ٩٦ ، الوفا في أحوال المصطفى : ص ٧٥٨ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٥ .

وهل ارتد في حياة النبيِّ أَمْ بعد وفاته ؟

ارتد أيَّام رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه ﷺ ضرار بن الأَزور ، فضيَّق عليه وحاربه ، حتى لم يبقَ على أخذه شيء .

هل كان وأتباعه مرتدين ، أَمْ من مانعي الزكاة ؟

منهم من ارتد ، ومنهم من منع الزكاة ، ولمانع الزكاة حديثه بعد قليل ، فهو ارتداد أيضاً .

وهل ادعت سجاح النبوَّة والوحي ، أم أنَّها كانت راسخة في النصرانيَّة ؟

لقد كانت متنبِّئة ، ولكنها تشبَّهت مثل غيرها من المتنبئين بما جاء به الإسلام ، فأخذت بعض أحكامه ، مثل مسيلمة ، لعجزها عن وضع تشريع لأتباعها ، يغاير ما كانوا عليه من النصرانيَّة أو الوثنيَّة .

أما كيف سمحت النظرة العربية للمرأة يومذاك بقيادة أتباع ، فهذا ما كان مستغرباً وشاذاً ، حتى من أتباعها ، أما قال عطارد بن حاجب في ذلك :

أَمْسَتْ نبيَّتُنا أُنْثى نَطُوفُ بِهَا ... وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ النَّاسِ ذُكْرانا ؟

فقوّة شخصيتها أهَّلتها لقيادة عوام قومها .

«٦»

لماذا دفع الخليفة ـ أبو بكر ـ ديَّة مالك بن نويرة ؟

سؤال آخر طرحه المؤلف ، جوابه : أوّلاً : لا شك في ردّة مالك بن نويرة ، وخروجه عن طاعة خليفة المسلمين لما يلي :

١ ـ أعاد أموال الزكاة إلى دافعيها .

٢ ـ تحالف مع سجاح ، فأغارت قُوَّاتُه مع قواتها على المسلمين .

٣ ـ قال عمر بن الخطاب لمتمم بن نويرة (أخي مالك) : لوددت أني رثيت أخي زيداً بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك ، فقال له متمم : يا أبا حفص ، والله لو علمت أن أخي صار حيث صار أخوك ما رثيته ، فقال عمر : ما عزّاني أحد عن أخي مثل تعزيته[1] ، وهذا يدل على أن مالكاً لم يكن مسلماً ، وإلاّ لعرف ذلك أقرب الناس إليه ، أخوه متمم ، ولما رثاه ، ولعلم أنَّه مات مسلماً صادقاً فالجنة مثواه .

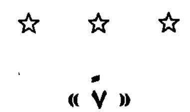
٤ ـ ما قتل خالد مالكاً إلاّ بعد أن أنَّبه على ما صدر منه من متابعة سجاح ، وعلى منعه الزكاة ، وقال خالد : ألم تعلم أنها قرينة الصلاة ؟ فقال مالك : إن صاحبكم كان يزعم ذلك ، فقال : أهو صاحبنا وليس بصاحبك ، يا ضرار اضرب عنقه ، فضرب عنقه[2] .

---

(١) الاكتفاء : جـ ٢ ص ٨/أ .

(٢) ابن خلدون : جـ ٢ ص ٧٤ ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٣٢٢ ، الطبري : جـ ٣ ص ٢٨٠ .

ومع ذلـك ، لمـا قـال أبو قتـادة إنَّـه مسلم ، وقتل خطـأ ، لأنـه لم يشهد كما شهد غيره حوار خالد مع مالـك ، دفع أبو بكر ديَّتـه من بيت المال ، كما دفع رسول الله ﷺ دية بني جـذيمـة من بيت المـال ، عنـدمـا قُتِلوا خطأً[1] .



« ٧ »

ويتسـاءل المـؤلِّف : وهـل يشكِّـل منـع الـزكاة ارتـداداً وكفراً في المفهوم الإسلامي ؟

إن المشكلـة ـ في واقعهـا ـ امتنـاع النـاس عن دفـع الـزكاة لعمال الحكومة ، واعتبار هذا الامتناع كفراً وردّة من دون أن يكون في تلـك الروايـات مـا يـدل على إنكار وجوب الـزكاة وتشريعهـا الإلهي ، ولأن المسألة في واقعها امتنـاع عن دفع الزكاة ، وليس إنكاراً للوجوب ، فقـد أنكر الخليفة عمر بن الخطاب حرب هؤلاء المتنعين ، ولم يجد في هـذه الحرب ما يبرِّرها قرآنياً ، وما يصححها سُنَّة وسيرة ، ولكنه عاد فتراجع عن موقف الإنكار وأقرَّ مشروعية هذه الحرب .

---

(١) أُلِّفت عشرات الكتب عن نـابليون ـ مثلاً ـ تنوّه بـأمجـاده ، وتتواصى بـالسكـوت عن شـذوذه وخِسَّته . والقوم إن رأوا من عظمائهم خيراً أذاعوه ، وإن رأوا شرّاً دفنوه ، أما نحن ، فمبـدعون في تضخيم الآفات إن وُجِدَت ، واختلاقها إن لم يكن لها وجود ، والنتيجـة أنّـه لن يكون لنـا تاريخ .

هل هذا الإمساك عدم الاعتراف بشرعية الحكم القائم ؟
أمْ بدافع الانتظار ريثما يتجلّى واقع أمر المسلمين أكثر فأكثر ؟
أو بسبب الرغبة في التمرُّد على الدولة ؟

إننا لا نرى وجهاً لما عبَّرت عنه السلطة يومذاك من اعتبار كل فرد من هؤلاء مرتداً وراغباً عن الإسلام ، إن سبب تلك الحروب والأحداث « رفض البيعة » ، وهذا هو الحق الذي ليس من حق غيره .

١ ـ الامتناع عن دفع الزكاة لا يدل على إنكار وجوبها وتشريعها الإلهي ، عجيب هذا التناقض ، أليس الامتناع ضمناً يدل على عدم الالتزام ، والتهرُّب من تطبيق التشريع الإلهي ، وتعطيل لما فرض الله ؟

٢ ـ أنكر عمر الحرب أوَّلاً ، ولكنَّه تراجع عن موقفه وأقرَّ بمشروعية هذه الحرب ، والواقع : إن حرب المرتدين مانعي الزكاة ، رأي كل الصحابة بما فيهم عثمان وعلي رضي الله عنهما ، رأي أُقِرَّ بالإجماع ، وإلاّ لما حاربوا ، ولحارب الصِّدِّيق وحده ، من حارب المرتدين ؟ إنهم خُلَّص الصحابة الذين جادوا بأنفسهم في هذه الحروب ، وبخاصة يوم اليمامة .

لقد قَدَّر أبو بكر الموقف بدقة تامة ، وهو في موقف المسؤولية والقيادة ، وبنظرة شموليَّة صحيحة ، بينما أراد عمر التريُّث ظناً منه أنَّه

سيصل إلى النتيجة المطلوبة المرجُوَّة بأناة وبدون قتال ، وهذا مالا يتحقَّق في مثل موقف المرتدين المتنبئين ، فكانت نظرة الصديق رضي الله عنه هي الثاقبة السليمة ، ولكأننا بعمر رضي الله عنه يريد أن يرفع عن نفسه مقولة التَّسَرُّع والشِّدَّة في مثل رفضه السريع أن يقال إن محمداً قد مات ، وفي الوقت ذاته ، إنَّ الموقف أعطى المسلمين على مرِّ الزمن نظرة صحيحة لنفسية وعزيمة وإيمان أبي بكر ، فهو مع هذه الصفات في المؤمن الكامل ، أُضيفت صفة العزيمة الصادقة ، والحزم السليم عندما يتطلَّب الأَمر .

« يرتد بإنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة ، كافتراض الصلاة والزكاة ونحو ذلك »[1] .

ونضيف : إن أبا بكر ما حارب مانعي الزكاة فوراً وبشكل عشوائي ، بل كان حريصاً على استتابة المرتد قبل إقامة الحد عليه ، إن كان فرداً أو قبل قتالهم إن كانوا جماعة لهم منعة ، فإن عاد إلى الإسلام فقد حقن دمه ، وإن لم يعد إلى الإسلام قتله إن كان فرداً ، وقاتلهم إن كانوا جماعة لهم منعة ، وهذا ماتضمَّنه كتاب أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه لكل المرتدين : « وإني بعثت إليكم في جيش من المهاجرين

---

(١) موسوعة فقه أبي بكر الصديق ، ص ١١٨ ، د . محمد رواس قلعه جي ، دار الفكر بدمشق ، ط ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

والأنصار والتَّابعين بإحسان ، فأمرته ألاَّ يقبل من أَحد إلاّ الإيمان بـالله تعالى ، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل ، فإن أجاب وأَقرَّ وعمل صالحاً قَبِلَ منـه ، وأَعَـانَـهُ عليـه ، وإن أبى حـاربـه حتى يفيء إلى أمر الله .. » .

والمؤلِّف الكريم يركِّز على منع دفع الـزكاة ، وهم قِلَّـة لا يشكِّلُـون واحداً إلى عشرين أو ثلاثين أو أكثر ، وينسى كُلِّياً ـ للأمانـة العلميَّـة ـ مَنْ تبـع المتنبئين الـذين حشـدوا لغـزو المـدينـة المنـوَّرة والقضـاء على الإسـلام ، فـأين الأَسـود العنسي وطليحـة وسجـاح ومسيلمـة من منـع الـزكاة ؟ إنهـا نبـوّات كاذبـة ، واعتـداء بـالقتـل على كل مسلم بقي على إسلامه .

وإذا قلنا : إننا أمام قبائل ترفض الطاعة والخضوع لسيادة قبيلـة قريش متمثِّلـة بـأبي بكر ، نقول أيضـاً : وحـدة الأُمَّـة جزء من عقيـدة المسلم ، فمن يشـقّ صف الجمـاعـة ، ومن يخرج عن وحـدة الأُمَّــة ، ومن يتمرَّد على الـدولـة ونظـامها ، إنَّما هـو عـدوهـا ، خـارج عن مفهـوم عقيدتها ، ولذلك كان موقف أبي بكر شديداً حازماً بعيـداً عن التَّراخي والتَّسـاهل ، فهو ـ رضي الله عنـه ـ يـدافع في حروبـه للمرتـدين ، عن وحدة الأُمَّة ، وكيان الأُمَّـة ، وعقيـدة الأُمَّـة ، ولا يسمح لفرد أو أفراد أن ينشقُّوا عن هذا الكيان .

وما هي عقوبة حمل السلاح في وجه السلطة الشرعيَّة التي اختارها المسلمون من المهاجرين والأنصار بالإجماع ؟

ماهي عقوبة « الثورة المضادة » على الحكومة الشرعيَّة المتمثِّلة بحكومة أبي بكر ؟

وماذا يتوقَّع عاقلٌ من أحداث لو ترك أبو بكر الصِّدِّيق المتنبئين وأتباعهم ، ومانعي الزكاة الذين هدموا ركناً من أركان الإسلام علناً وبقوة السلاح ؟ وهذا ماعناه أبو بكر في قوله : والله لو منعوني عناقاً - أو عقالاً - كانوا يُؤَدُّونه لرسول الله لحاربتهم عليه ، أي : لن يسمح بهدم ركن من أركان الإسلام .

منع الزكاة خطوة لهدم أركان أُخرى يُتَساهل بها أيضاً ، أُسْوَة بهذا الركن المهدوم ، والذي غَضَّت الدولة عنه طرفها !!



« ٨ »

كان عنوان الكتاب الذي نناقشه : « نصوص الرِّدَّة في تاريخ الطبري ، نَقْدٌ وتحليل » ، وبعد مناقشة المؤلِّف التي عرضناها ، طعن بكل ماجاء به رواة الطبري في هذا الموضوع ، ونحن لن نناقش هذا الطعن ، لأن كل مااستنتجه واستنبطه بعيد كل البعد عن الصواب من

ناحية ، ولأن ما رواه رواة الطبري مرويٌّ في كتب الحديث الصحاح ، وثابت أيضاً في مصادرنا التاريخية الموثوقة كُلِّها من ناحية ثانية .

☆ ☆ ☆

وهكذا بحمد الله عز وجل وبعونه ، تمَّت مع هذه الصفحات الأخيرة سلسلة : « غزوات الرسول الأعظم » ، التي بدأناها ببدر الكبرى ، وأنهيناها بحروب الرِّدَّة ، التي اعتبرناها مع الغزوات لأن حركة الارتداد بدأت في أواخر حياة رسول الله ﷺ ، وقد كُتِبَ لأبي بكر أن يكتب آخر صفحاتها في خلافته ، وستكون الخطوة التالية بعدها مباشرة : حروب التحرير والفتح في العراق والشام وشمال أفريقية ، ولقد كان لهذه الحروب سلسلتها الخاصة بها ، والتي أصدرناها في دار الفكر بدمشق تحت اسم : « المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام » .

لقد كانت خطتنا في « غزوات الرسول الأعظم » إيراد بعض النصوص كما هي في مصادرنا الموثوقة ، فكان القارئ من حيث لا يشعر كأنَّه يقرأ في كتب الصِّحاح ، وكتب السِّيرة ، وفي مصادرنا التاريخيَّة كالطبري ، والبداية والنهاية ، والكامل في التاريخ ، وابن خلدون ، والاكتفاء .. ولكنه من خلال السلسلة أيضاً قرأ رأينا واضحاً جليّاً ،

والذي كان يرد من خلال البحث حيناً ، وحيناً أفردنا له صفحات خاصة ، حيث كانت بعض المناقشات والتساؤلات والرُّدود .

ولا يسعني في هذه الأسطر الأخيرة إلاّ أن أقف بقلب خاشع بين يديْ الله عز وجل ، معترفاً بفضله وكرمه وجوده ، هو المتفضِّل ، وهو المُكْرم ، وهو المُلْهِم ، وهو الموفِّق ، أسأله مزيداً ، لما فيه خدمة هذا التاريخ العربي الإسلامي ، فهو المقصود ـ جَلَّ جلالُهُ ـ في العمل ، أولاً وآخراً ، عليه توكلت ، وإليه أنبت ، سائلاً التوفيق والرضا :

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى والـدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾ .

والحمد لله ربِّ العالمين

☆ ☆ ☆
☆ ☆
☆

المصادر

«أ»

☆ الاكتفاء من مغازي سَيِّدنا رسول الله ﷺ ومغازي السَّادة الثلاثة الخلفاء أَبي بكر الصِّدِّيق وعمر الفاروق وعثمان ذي النُّورَيْن :
سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبد السَّلام الحميري الكلاعي البلنسي .
مخطوط دار الكتب الوطنيَّة الظاهرية «بدمشق»، تحت رقم : ٤٨١٠ ، و: ٤٨١١ .

☆ أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة : عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري . طبعة دار الشعب .

☆ الإصابة في تمييز الصَّحابة : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني ، المعروف (بابن حجر) ، مكتبة المثنى ـ لبنان ، الطبعة الأُولى ، سنة : ١٣٢٨ هـ .

☆ الاستيعاب في أسماء الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي .

☆ هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، مكتبة المثنى - لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٢٨ هـ.

☆ إعلام السَّائلين عن كتب سيِّد المرسلين: شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي. دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة، رقم: س - ٢٦٣، و - ٢١٢٢.

☆ أقضية رسول الله ﷺ: أبو عبد الله محمد بن فرج المالكي القرطبي.
دار الوعي - حلب، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٩٦.

☆ استنزال النَّصر بالتَّوسُّل بأهل بدر: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عمر الطرابلسي.
دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة، مخطوط رقم: ١٠٤١٢، طُبِعَ مع شرح بعنوان: شرح الصدر بشرح أرجوزة استنزال النصر بالتوسل بأهل بدر.

☆ أسماء أهل بدر: المؤلف غير معروف.
مخطوط في دار الكتب الوطنيَّة الظاهرية، رقم: ١٠٢١٦ و٣٥٩٧.

☆ أسماء ساداتنا أصحاب أهل بدر: المؤلف غير معروف.
مخطوط في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة، رقم: ٨٨٢٤.

☆ أسماء الصحابة البدريين: فصل من كتاب دلائل الخيرات وشوارق

الأنوار في ذكر الصلاة على النَّبيِّ المختار للشيخ أبي عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجُزُولي السملاوي الحسني .
مخطوط في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة ، رقم : ٨٠٥٠ ، و ٤٧٦٩ .

☆ الأَعلام : قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . خير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة .

☆ أعلام النِّساء : في عالمي العرب والإسلام .
عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، سنة : ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

☆ أيام العرب في الجاهلية : محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .
دار إحياء الكتب العربيَّة ، طبعة البابي الحلبي بمصر .

☆ الإسلام يتحدى : وحيد الدين خان .
المختار الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٣ م .

« ب »

☆ البداية والنهاية : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي .
الطبعة الأُولى ، سنة : ١٩٦٦ م ، مكتبة المعارف بيروت ، ومكتبة النصر الرياض .

« ت »

☆ تاريخ الرُّسل والملوك : « تـاريخ الطبري » ، أبو جعفر محمـد بن جرير الطبري . طبعة دار المعارف بمصر ، سنة : ١٩٦٣ .

☆ تاريخ خليفة بن خيـاط : أبو عمرو خليفـة بن خيـاط بن أبي هبيرة ، خليفة بن خياط الليثي العصفري .
دار القلم ، ومؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانيـة ، سنـة : ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

☆ تـاريخ الإسلام : السيـاسي والـديني والثقـافي والاجتماعي ، د . حسن إبراهيم حسن . الطبعة السَّادسة ، سنة : ١٩٦١ ، مكتبـة النهضـة المصريَّة .

☆ تـاج العروس من جـواهر القـامـوس : محب الـدين أبـو الفيض محمـد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي .
منشـورات دار مكتبـة الحيـاة ـ بيروت ، الطبعـة الأُولى ، سنـة ١٣٠٦ هـ .

☆ تاريخ الدولـة العربيَّـة : يوليوس فلهـاوزن ، مشروع الأَلف كتـاب « ١٣٦ » . لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ، سنة : ١٩٥٨ .

☆ تاريخ العرب والشعوب الإسلاميَّة : كلود كاهن .
دار الحقيقة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة : ١٩٧٧ .

☆ تاريخ العرب العام: لويس أملي سيديو، ترجمة عادل زعيتر.
طبعة عيسى البابي الحلبي، سنة: ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.
☆ تاريخ الشعوب الإسلاميَّة: كارل بروكلمان.
دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة: ١٩٦٥.

«ج»

☆ جالية الكَرَب بأصحاب سيد العجم والعرب: رسالة في أسماء الصحابة البدريين والأُحديين.
مخطوط في المكتبة الوطنيَّة الظاهريَّة، رقم: ٩٠٦٦.
المؤلف: زين الدين البرزنجي، وطُبِع في مصر (مطبعة الموسوعات) على نفقة عبدالرحمن ومحمود الحجالي في زنجيبار، ونسخة الظاهريَّة المطبوعة رقم: و-١٨٢٧.

«ح»

☆ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني. دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.
☆ الحرب في القانون الدولي العام: العميد بشير مراد.
الطبعة الأُولى، دمشق، سنة ١٩٧٣.
☆ الحرب عبر التاريخ: الفيلد مارشال فيكونت منتغمري.
المكتبة الأنجلو المصرية، سنة: ١٩٧١.

☆ الحضارة العربيَّة : جان س. ريسلر، ترجمة غنيم عبدون.
نشر الدار المصرية، «بدون تاريخ».
☆ حضارة العرب : د. غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر.
دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة، سنة : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

«د»

☆ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي.
مؤسسة الرسالة، «بدون تاريخ».
☆ دول الإسلام : للحافظ شمس الدين أبي عبدالله.
طبع دائرة المعارف، حيدر أباد، سنة : ١٣٣٧هـ.
☆ الدعوة إلى الإسلام : السير توماس و. أرنولد.
مكتبة النهضة المصريَّة، الطبعة الثانية، سنة : ١٩٥٧م.
☆ دراسة الكتب المقدَّسة : موريس بوكاي، طبعة دار المعارف بمصر.

«ذ»

☆ ذخائر العُقْبى في مناقب ذوي القُرْبى : محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري. دار المعرفة، بيروت، الطبعة عام : ١٩٧٤.

«ر»

☆ الرَّوْضُ الأُنُف : في تفسير السير النبويَّة لابن هشام، لأبي القاسم

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السُّهيلي.
دار الفكر - بيروت.
☆ الروض الأنزه في مناقب سيدنا حمزة رضي الله عنه: جعفر حسن البرزنجي الشافعي.
مخطوط في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة، رقم: ٨٤٦٣.
☆ الرسول العربي وفن الحرب: العماد مصطفى طلاس.
الطبعة الثانية، سنة: ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.
☆ الرسول القائد: محمود شيت خطاب.
الطبعة الثانية، سنة: ١٩٦٠.

«س»

☆ السِّيرة الحلبيَّة «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»: علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي.
طبعة المكتبة التجاريَّة الكبرى، سنة: ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢.
☆ السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة: «هامش السيرة الحلبيَّة»، أحمد زيني المشهور بدحلان.
طبعة المكتبة التجاريَّة الكبرى، سنة: ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢.
☆ السِّيرة النبويَّة: أبو الفداء إسماعيل بن كثير.
دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

☆ السِّيرة النبويَّة : أبو محمد عبد الملك بن هشام المُغَافري البصري .
دار الجيل ، بيروت ، سنة : ١٩٧٥ .
☆ سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي .
مطبعة الأندلس ـ حمص ، الطبعة الأُولى ، سنة : ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
☆ سنن الدَّارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدَّارمي . دار إحياء السُّنَّة النبويَّة ، « بدون تاريخ » .

« ش »

☆ شرح أسماء أهل بدر : جمعها عبد اللطيف بن أحمد البقاعي سنة ١١٦٤ هـ .
وشرحها طه بن محمد الجبريني الشهير بابن المُهَنَّا المتوفى سنة ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م .
مخطوط دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة ، رقم : ٥١٥١ .
☆ الشافية من الأسقام في أسماء أهل بدر الكرام : حسين بن سليم بن سلامة الدَّجاني الحسيني .
مخطوط دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة ، رقم : ١١٣٧٠ .

« ص »

☆ صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .

دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبي، طبعة سنة: ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥م.
☆ صحيح مسلم بشرح النووي: المطبعة المصريَّة ومكتبتها، «بدون تاريخ».
☆ صور من حياة الرَّسول: أمين دويدار، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر.

«ط»

☆ الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري.
طبعة دار صادر ـ بيروت، سنة: ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م.
☆ طلعة البدر: زين الدين جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي.
مخطوط في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة، رقم: ٨٩١٩.

«ع»

☆ عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسِّير: فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحي بن سَيِّد الناس الأندلسي الإشبيلي. دار الجيل، الطبعة الثانية، سنة: ١٩٧٤.
☆ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي.
طبعة دار البيان، «بدون تاريخ».

☆ عيون الأخبار: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قُتَيبة الدَّينَوَري.
نسخة مصوَّرة عن طبعة دار الكتب، المؤسَّسة المصريَّة العامَّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، «بدون تاريخ».

«ف»

☆ فتح الباري شرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني.
دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية.
☆ فتوح البلدان: أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داود البغدادي البلاذري. المكتبة التجاريَّة الكبرى، طبعة عام: ١٩٥٩.
☆ فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد المناوي.
المكتبة التجاريَّة الكبرى، طبعة عام: ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٨ م.
☆ فلسطين عربيَّة: د. فؤاد حسنين علي.
معهد البحوث والدِّراسات العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم.
طبعة عام: ١٩٧٣ م.

«ق»

☆ القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي.
دار الفكر ـ بيروت، طبعة عام: ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

«ك»

☆ الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقَّب بعز الدين. طبع إدارة الطباعة المنيريَّة، سنة: ١٣٤٨ هـ.

☆ كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان: أبو العباس نجم الدين بن الرفعة الأنصاري.
تحقيق د. محمد أحمد إسماعيل الخاروف.

☆ كتاب التاريخ الكبير: أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري. نشر المكتبة الإسلامية بديار بكر- تركيا، مصور عن الطبعة الهنديَّة.

☆ كتاب الأمثال: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق د. عبد المجيد قطامش.
دار المأمون للتراث، الطبعة الأُولى، سنة: ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

☆ كتاب الأنساب: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني. نشر محمد أمين دمج- بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

«ل»

☆ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. دار صادر- بيروت.

«م»

☆ مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين بن علي المسعودي.
دار الفكر، الطبعة الخامسة، سنة: ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

☆ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأُولى، سنة: ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م.

☆ معجم الأُدباء: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، واسم الكتاب الأصلي: «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب».
طبعة القاهرة، دار المأمون (الوقت من ذهب)، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

☆ معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي.
دار صادر، بيروت.

☆ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي.
دار الفكر، بيروت.

☆ محمد رسول الله: محمد رضا.
دار الكتب العلمية، بيروت، سنة: ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

☆ المجتنى: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي.
دار الفكر بدمشق، الطبعة الأُولى، سنة: ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

☆ ملامح من تاريخ اليهود في العراق: د. أحمد سوسة.

مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، الطبعة الأولى، سنة: ١٩٧٨م.

☆ معجم قبائل العرب: عمر رضا كحالة.
دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

☆ مسند الإمام أحمد بن حنبل: طبعة المكتب الإسلامي ودار صادر، بيروت.

☆ المختار من نوادر الأخبار: شمس الدين الأبياري المقري.
مخطوط في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة، رقم: ٧٨٤٢.

«ن»

☆ نسمات الأسحار، ونفحات الأزهار، في فضائل العشرة الأبرار، أصحاب النبي المختار. محمد الكيلاني، مخطوط في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة، رقم: ٨٧٦٣.

«و»

☆ الوفا بأحوال المصطفى: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي.
دار الكتب الحديثة ـ مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

☆ ☆ ☆

المحتوى

صفحة

مسرد الصور الواردة في الكتاب

« صور اليمامة عن مجلة الفيصل »

كتب للمؤلِّف :

المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام :

القادسيَّة : بقيادة سعد بن أبي وقاص .

اليرموك : بقيادة خالد بن الوليد .

نهاوند : بقيادة النعمان بن مقرِّن المزني .

ذات الصواري : بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

فتح الأندلس : بقيادة طارق بن زياد .

بلاط الشهداء : بقيادة عبد الرحمن الغافقي .

فتح صقلِّيَّة : بقيادة أسد بن الفرات .

الزلاَّقَة : بقيادة يوسف بن تاشفين .

الأَرك : بقيادة المنصور يعقوب الموحِّدي .

العِقَاب : بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحِّدي .

مصرع غَرْناطة : « أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأَحمر » .

☆ ☆ ☆

كتب أُخرى للمؤلف :

الإسلام في قفص الاتهام	الطبعة التاسعة .
مَنْ ضَيَّع القرآن ؟	الطبعة الثالثة .
الإنسان بين العلم والدين	الطبعة الخامسة .
هارون الرشيد	الطبعة السادسة .
غريزة .. أمْ تقديرٌ إلهي ؟	الطبعة السادسة .
آراء يهدمها الإسلام	الطبعة الخامسة .
الإسلام وحركات التحرر العربيَّة	الطبعة الرابعة .
عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي	الطبعة الرابعة .
الهجرة « حدث غيَّر مجرى التاريخ »	الطبعة الخامسة .
جرجي زيدان في الميزان	الطبعة الثالثة .

جميع كتب المؤلف طبع ونشر وتوزيع

دار الفكر

بدمشق